مقرر

قصص أطفال

الفرقة .... الثالثة ... الطفولة

أستاذ المقرر

أ.م.د/ بخيته حامد إبراهيم

أستاذ الأدب الحديث المساعد

قسم اللغة العربية

كلية الآداب بقنا

العام الجامعي

2023م / 2024م

محاضـرات

في قصص الأطفال

جمع وإعداد

أ.م.د. بخيته حامد إبراهيم

أستاذ الأدب الحديث المساعد

بيانات أساسية

- **الكلية: التربية**
- **الفرقة: الثالثة**
- **التخصص: طفولة**
- **عدد الصفحات: 115.**

محتويات الكتاب

▪ مقدمة	6
▪ تعريف القصة	7
▪ أهداف القصة	8
▪ العناصر البنائية لقصة الطفل	16:10
أولا: الموضوع أو الفكرة	10
ثانيا: الحبكة	11
ثالثا: الشخصيات	13
رابعا: الأسلوب	14
خامسا: البيئة الزمانية والمكانية	16
▪ أنواع قصص الأطفال	17
▪ اختيار القصة	18
▪ خصائص الراوي الجيد	20
▪ قصص الحيوان	22

قصص الحيوان عند أحمد شوقي قصص الحيوان عند أحمد سويلم	
▪ مصادر ثقافة الطفل العربي: أولًا: الموروث الشعبي. ثانيًا: قصص الكتب المقدسة والقصص الديني ثالثًا: الأساطير القديمة رابعًا: التأليف والترجمة	30
▪ انتصار عبدالمنعم وفراشتها الجميلة	55
▪ إطلالة على عالم سماح أبوبكر عزت	61
▪ قراءة في قصص: (شعر بسبوسة، باقة ورد وأنسنة الأشياء) لهويدا زكريا (الأصدقاء الأوفياء.. وحيلة "تالا" لإيهاب القسطاوي)	80
▪ قصة (لومة وأحلام الزعامة) لعبده الزراع	97
▪ قصة (سيف الوقت) لعبدالتواب يوسف	102
▪ الحواشي	112

مقدمة:

استحوذت القصة على فكر كثير من الأدباء والمفكرين؛ لأنها تمثل "ظاهرة إنسانية نشأت وتطورت مع تطور الإنسان، ومنذ وجود المجتمعات الإنسانية والحاجة إلى القصص والقص شديدة لتلبية الاحتياجات الإنسانية النفسية، والاجتماعية، والجمالية، وللإجابة عن كثير من التساؤلات الإنسانية، وتفسير كثير من الظواهر الطبيعية"[1] لهذا فقد كثر نتاجهم الأدبي من المجموعات والسلاسل القصصية، التي أخذوا يبثون فيها ما يريدون من مبادئ وحكم ونصائح. إيمانا منهم بأن القصة مجالا خصبا لبث الآراء والمبادئ.

وتحتل القصة مكانة كبيرة بين الأجناس الأدبية الأخرى، فهى أكثر انتشارا بل وأشد جاذبية للأطفال " ولا يمكن تصور طفل دون أن نتخيله مع لعبة يلعب بها ،وحكاية يستمع إليها، أو قصة يقرؤها في كتاب، أو يشاهد أحداثها في الإذاعة المرئية. يعيش أحداثها، وينفعل بها فرحا أو حزنا، غضبا أو رضا، أمنا أو خوفا"[2] وبهذا فإن فن القصة من أقرب الفنون الأدبية إلى النفس "لأنه فن يستقى مادته من الحياة اليومية الجارية بحلوها ومرها، وينقل التجارب والخبرات من واقع تلك الحياة"[3]

وهى بذلك "لا تعرض معانى وأفكارا وحسب، بل تقود إلى إثارة عواطف وانفعالات لدى الطفل إضافة إلى إثارتها العمليات العقلية المعرفية كالإدراك والتخيل والتفكير. وقد توسل الإنسان بالقصة منذ فجر الحياة،

إذ ركن إليها كأسلوب أراد به تهذيب الأخلاق والسلوك وإشاعة الحكمة بصورة جذابة وأسلوب مؤثر، وعبر من خلالها عن نظراته إلى جوانب الحياة وإلى الكون وظواهره.. أى أنه استعان بالقصة في التعبير عن نفسه، وفي نقل أفكاره وخيالاته إلى الآخرين، واستخدمها أيضا كأسلوب للتهذيب والتثقيف."[4]

تعريف القصة:

اختلفت الآراء حول تعريف القصة، فعرفت بأنها " لون من ألوان الأدب القصصى، الذى يروى الأخبار على أنواعها، ويعرض الأحداث، وينقل المآثر، ويسوق الحكايات والنوادر، وينسج الأساطير والخرافات، طلبا للمتعة والفائدة."[5]

وقيل إنها "شكل فنى من أشكال الأدب الشائق، فيه جمال ومتعة، وله عشاقه الذين ينقلون في رحابه الشاسعة الفسيحة على جناح الخيال، فيطوفون بعوالم بديعة فاتنة، أو عجيبة مذهلة، أو غامضة تبهر الألباب وتحبس الأنفاس، ويلتقون بألوان من البشر والكائنات والأحداث تجرى وتتتابع، وتتآلف وتتقارب، وتفترق وتتشابك، في اتساق عجيب وبراعة تضفي عليها روعة آسرة وتشويقا طاغيا."[6]

وذُكر أنها "فن أدبى يهدف إلى كشف أو غرس مجموعة من الصفات، والقيم والمبادئ، والاتجاهات، بواسطة الكلمة المنثورة التى تتناول حادثة أو مجموعة من الحوادث التى تنتظم في إطار فنى من التدرج والنماء،

ويقوم بها شخصيات بشرية- أو غير بشرية- وتدور في إطارى زمان ومكان محددين، مصاغة بأسلوب أدبى راق يتنوع بين السرد، والحوار والوصف ويعلو ويدنو وفقا للمرحلة المؤلف لها القصة، وللشخصية التى يدور على لسانها الحوار"[7]

وورد أنها" تجربة حية، مقتطعة من الحياة المتحركة المتفاعلة، تشد الانتباه، وتعمل الفكر، وتحرك المشاعر، ويشعر المتلقى- صغيرا كان أم كبيرا- بأنه يعيش وسط الحدث، ويتمثله ويعايشه إلى حد كبير، بل ويتخذ موقفا، بناء على قناعة خاصة استلهمها من التجربة المتواجدة في القصة."[8]

وعلى أية حال فإن للقصة موقعاً خاصاً عند الأطفال،ولا عجب أن يكون الأطفال شديدى التعلق بالقصص سواء كانوا يستمعون إليها،أو يقرءونها،بل إنهم يلحُّون على سماعها من الآخرين وذلك في فترات حياتهم الأولى إذ إنهم لا يستطيعون القراءة في تلك الفترة.

أهداف القصة:

للقصة دور مهم في حياة الأطفال، فهى وسيلة من وسائل نشر الثقافة والمعرفة والعلوم، وبالتالى فإنها تحقق عدة أهداف منها: [9]

- تنمية مهارات (الاستماع- الحديث- القراءة والكتابة).

- يحصل الطفل من خلالها على العديد من الخبرات الجديدة ويكون بتلك الخبرات قادرا على مواجهة الأزمات والمخاطر إذا ما تعرض لمثلها في حياته.
- إثراء القاموس اللغوى إذ تمدهم بثروة هائلة من اللغة وتمنحهم الوقوف على أسرار لغتهم.
- غرس القيم والمبادئ السليمة في نفوس الأطفال.
- إدراك الطفل لذاته ومن يحيطون به.
- تنمية خيال الطفل وفكره، فعندما يستمع الطفل للقصة فإنه يمنح لخياله الفرصة على تكوين صور مختلفة للمواقف، والشخصيات، والأحداث التى يستمع إليها.
- مساعدة الأطفال في التعرف على عالم الكتب والمكتبات، وتنمية الاتجاه نحو القراءة.
- مساعدة الأطفال على حسن التعبير والتمكن من إعادة القصة مرة أخرى بأسلوبهم بعد سماعها.
- وسيلة من وسائل التهذيب الخلقى والنفسى لدى الصغير .
- مد الأطفال بالمتعة وجانب المرح والسرور.

وعليه فإن" القصة والأثر الأدبى هى أقدر الأساليب الأدبية على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وتمثيل الأخلاق وتصوير العادات

والتقاليد، ورسم خلجات النفوس، كما أنها إذا شرف غرضها، ونبل مقصدها، وكرمت غايتها، تهذب الطباع، وترقق القلوب، وتدفع الناس إلي الاقتداء بالمثل العليا من الإيمان والواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار. بالإضافة إلى ذلك فإننا إذا أردنا أن نكون فكرة ما عن أى مجتمع من حيث عاداته وتقاليده وقيمه الإنسانية والاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية منها، فلابد من الاطلاع على آدابه وفنونه وثقافته الشعبية وأمثاله وشعره وبالأخص على قصصه"[10]

ومن هذا كله يتضح ما للقصة من أهداف كثيرة، وأهمية كبيرة في النفوس البشرية، فهى تحلق بين عقل الطفل وحواسه .

العناصر البنائية لقصة الطفل:

من المتعارف عليه في حقل الإبداع الأدبى أن لكل قصة مجموعة من العناصر الفنية يمكن تلخيصها فيما يلي:

الموضوع أو الفكرة – الحبكة أو العقدة- الشخصيات- الأسلوب- البيئة.

أولاً:الموضوع أو الفكرة

يمثل الموضوع أهمية كبيرة في العمل القصصى ؛ لأنه يعد " العمود الفقري للقصة. ويجب أن تتضمن الفكرة الأمور الأساسية التي تهدف إليها في تربية الطفل، فضلا عن إثارة انتباهه، وجذب اهتمامه للقصة، ومن المهم أن تتسم الفكرة بالصدق الذي يترك أثره في الطفل خلال قراءته أو

سماعه لها. والفكرة ليست أمرا غامضا، وإنما هي ما يتعلق بمستوي الطفل، ويلائم خبراته واهتماماته، مع الحذر في اقتحام الموضوعات أو الأفكار بشكل مفتعل، أو استخدام طريقة التلميح الذي يؤدي إلي الغموض، بل يلجأ الكاتب إلي مراعاة قدرات الطفل العقلية في ذلك كله واستخدام الطريقة المناسبة في عرض الفكرة بحيث تستثير عند الطفل التفكير، وتدفعه لتلمس الحلول، واستنباط الحكمة "[11]

ومن هنا فإن الفكرة يمكن أن تدور حول العديد من الموضوعات طالما الهدف واضحا عند الكاتب، والموضوعات التى تدور حولها قد تكون مأخوذة من القرآن أو السنة النبوية أو من موضوعات أخرى ترتبط بالمجتمع، كأن تبرز قضية مهمة أو تغرس قيم طيبة، كالعمل والتعاون والحب والصدق والخير ...إلخ.

وكلما كان هناك وضوح وصدق في الموضوع أو الفكرة كانت القصة جيدة ومؤثرة في الأطفال، وكثيرا ما يقع التأثير عندما يكون موضوعها يحث على الخير والقيم النبيلة واحترام الآخرين، وفي المقابل تبعده أيضا عن الشر.

ثانيا :الحبكة

عند وضوح الفكرة في ذهن مؤلفها عليه أن يصنع سلسلة من الوقائع والأحداث المرتبطة التى يسلم بعضها بعضا، والتى تتكون من خلالها بنية القصة.

فالحبكة إحكام بناء القصة بطريقة منطقية مقنعة، و"هى القصة في وجهها المنطقى، ومفهومها أن تكون الحوادث والشخصيات مرتبطة ارتباطا منطقيا يجعل من مجموعها وحدة متماسكة الأجزاء ذات دلالة محددة. وهى تتطلب نوعا من الغموض الذى تتضح أسراره في وقتها المناسب."[12]

وأبسط صورة لبناء القصة هى التى تتكون من ثلاث مراحل رئيسية:[13]

المقدمة – العقدة – الحل

المقدمة وتشتمل على تمهيد قصير للفكرة، ومدخل تتتابع فيه الأحداث والوقائع؛ لينجذب القارئ إليها، ثم تسير الأحداث وتتشابك في شكل(عقدة) تجعل الصغير يفكر في حلول لها، ثم تبدأ الأمور في التكشف والظهور حتى تصل إلى لحظة التنوير(الحل) الذى يشعر الصغير فيه بالراحة، وبالتالى يهدأ نشاطه، وتستكن نفسه.

ويتضح من ذلك أن الحبكة مهمة جدا في كل عمل قصصى، ومع هذا يفضل أن يبتعد الكاتب عن التعقيد، وأن تكون الحبكة في مستوى الصغار، وأن يراعى عقلية الصغير أثناء الكتابة، ويتعرف على ما يحبه وما يمله؛ حتى يستطيع أن يحكم بناء قصته، وبالتالى يرغِّب الصغار في متابعة كتاباته.

ثالثا: الشخصيات

تلعب الشخصيات في قصص الأطفال دورا مهماً، وذلك باعتبارها نموذجا يحتذى به. فالقصة تحفل بالعديد من الشخصيات والتى يختارها المؤلف بدقة، بحيث تصور الدور أو العمل- الذى رسمه لها المؤلف- على أنه حقيقة صادقة. ومن هذا المنطلق تتضح مقدرة المؤلف في رسم شخصياته رسما مقنعا وواضحا محاولا أن تشبه الشخصيات في الحقيقة أو الواقع "فالجيران في القصة يشبهون الجيران الذين يعيشون قريبا من الطفل، والعجوز فيها كالعجوز التى تسكن آخر الشارع ويراها الأطفال تتوكأ على عصا أو تتحدث بفم فارغ من الأسنان."[14]

والمقصود بالشخصيات هنا ليس الإنسان فقط. وإنما كل الكائنات التى يحركها المؤلف ويؤدى من خلالها الأحداث، فقد تكون إنساناً أو حيواناً أو طائراً أو نهراً أو ملاكاً... فالصغير قادر على إضفاء صفة الآدمية على مختلف الحيوانات أو الجمادات.

ولا يعنى الاهتمام برسم الشخصيات أن يستطرد الكاتب في ذكر صفات كل شخصية، والحديث عن أبعادها ونواحيها؛ لأن ذلك يؤدى إلى ملل الطفل وانصرافه عن متابعة القصة. والأنسب للمؤلف أن يركز على الصفات المهمة الواضحة القريبة إلى نفس الصغير والتى يستطيع من خلالها أن يكون صورة للشخصية التى أمامه وذلك بكلمات قليلة وطريقة جذابة ،وكما قيل:(رب إشارة أبلغ من عبارة) أو خير الكلام ما قل ودل.[15]

ويمكن للمؤلف أن يكشف عن الشخصية ويظهرها بواحدة من الطرق التالية:[16]

1 – بواسطة الرواية والسرد.

2 – بتسجيل محادثتها مع الاخرين.

3 – بوصف أفكارها.

4 – ببيان أفكار الآخرين عنها.

5 – بواسطة ما تقوم به في أحداث القصة.

وشخصيات قصص الأطفال يجب أن تتميز بخصائص تناسب كل مرحلة من مراحل النمو، ومن أهم ما يراعى فيها:[17]

الوضوح- التميز- التشويق

ويجب أن تعمل الشخصية وتتكلم طبقا لسنها وثقافتها وبيئتها، وتكون متسقة مع سلوكها وقيمها وأفكارها، وأن تكون الأعمال التى تقوم بها الشخصيات في حدود المعقول والممكن التى يتقبلها الصغير ويقتنع بها.

رابعا:الأسلوب

لكل مؤلف أسلوبه وطريقته الخاصة في الكتابة، وفي اختياره للكلمات والجمل وتركيبها، فالأسلوب بمثابة "الوعاء الذي يحمل الفكرة. وكلما كانت عبارة الكاتب سهله ومتسقة مع الأفكار وتسلسل الحوادث كانت

القصة جيدة .أما إذا كان الأسلوب صعبا فان السامع أو القارئ يفقد الرغبة في تتبع الحوادث وبذلك تضيع المتعة والفائدة"[18]

وتظهر براعة المؤلف في قصته من خلال أسلوبه والطريقة التى يتبعها، وكيف استطاع أن يسير الأطفال مع الأحداث بطريقة طبيعية وسليمة، ويعبر عن فكرته بصورة جميلة ومؤثرة تبدو كما لو كانت صادقة، ويجعلهم يعيشون الجو العام لقصته." ويمكن القول أن العناصر الأساسية التى تميز أسلوب وقصص الأطفال هى الوضوح، والقوة، والجمال. ووضوح الأسلوب يعنى أن يكون في مقدور الأطفال استيعاب الألفاظ والتراكيب وفهم الفكرة. وهذا لا يتيسر ـ ما لم يكن النسيج اللفظى بسيطا وشفافا وخاليا من الزخرفات والتنميقات. والبساطة والشفافية لا تعنى السذاجة أو البدائية؛ لأن الأطفال يرفضون أن يقلل من شأنهم أو ينظر إليهم نظرة فجة. وقوة الأسلوب ويتمثل في إيقاظ حواس الطفل وإثارته وجذبه كى يندمج وينفعل بالقصة، عن طريق نقل انفعالات الكاتب في ثنايا عمله القصصى وتكوين الصور الحسية والذهنية."[19]

وهناك أكثر من طريقة لأسلوب كتابة القصة للأطفال، وعلى المؤلف أن يختار من بينها:[20]

أ – الطريقة المباشرة: ويتولى فيها الكاتب عملية السرد بعد أن يتخذ لنفسه موقفا خارج أحداث القصة.

ب- طريقة السرد الذاتي: وفيها يكتب المؤلف على لسان أحد شخصيات القصة.

ج- طريقة الوثائق: وفيها يقدم المؤلف القصة عن طريق عرض مجموعة من الخطابات أو اليوميات أو الوثائق المختلفة.

وحتى يكون الأسلوب جيدا لابد أن يتوافر فيه عدة مقومات من بينها:[21]

1- أن تكون كلماته من قاموس اللغة الفصحى، ولا مانع عند الضرورة القصوى من استعمال بعض الكلمات العامية التي لا يمكن أن تؤدي معناها وإيحاءاتها بنفس الدرجة كلمة فصيحة.

2- أن يكون سهلا وسلسا وصحيحا من الناحية اللغوية.

3- أن يتنوع بين السرد المباشر والحوار، وبين التكلم والخطاب والغيبة.

4- أن يميل إلى التلميح والإيحاءات أكثر منه إلى التصريح والإخباريات.

5- أن يكون فصيح الكلمة بليغ العبارة محكم البناء.

خامسا: البيئة الزمانية والمكانية

البعد الزماني ويقصد به زمن القصة، فقد يكون الزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وقد تجمع بين زمانين. والبعد المكاني ويقصد به مسرح الأحداث والإطار الذي تجري عليه أحداث القصة، فقد يكون المكان مما

يشاهده الصغير، أو أماكن لم يرها من قبل. "وزمان القصة ومكانها يؤثران في الأحداث وفي الشخصيات وفي الموضوع. والأحداث مرتبطة بالظروف والعادات والمبادئ التى تسود في الزمان والمكان اللذين وقعت فيهما، والارتباط بكل ذلك ضرورى لحيوية القصة. وخلفية القصة وجوها العام يجب أن يكونا صحيحين وسليمين زمانا ومكانا، بحيث يضيفان إلى القصة الصدق ويبعثان فيها الحياة.

وكل قصة تحدث في بيئة بعينها يجب أن تعطى جو هذه البيئة والإحساس بها، وتوحى بالشعور الذى يوحى به المكان في واقعه."[22] سواء أكان المكان حديقة أم غابة أم بيئة صحراوية أم قرية في الريف، فلكل خصائص وسمات، ومن الطبيعى أن تنقل أو ترسم القصة للطفل مناظر كل بيئة وما تحتويه من صور وأحداث إلى خيال الصغير ومدركاته.

وأما عن أنواع قصص الأطفال فهى عديدة منها:

- قصص الحيوان.
- قصص واقعية.
- قصص فكاهية
- قصص علمية.
- قصص تاريخية.
- قصص دينية .

- قصص وطنية ....الخ. وقد تجمع القصة الواحدة بين نوعين أو أكثر فتكون مثلا قصة واقعية فكاهية، أو علمية تاريخية.

اختيار القصة:

يتوقف ذلك- في المقام الأول- على المرحلة العمرية التى يمر بها الأطفال، فلكل مرحلة ما يناسبها من القصص. وهناك عدة عوامل تجعل من القصة المختارة قصة جيدة وناجحة،

وبالتالى يكون تأثيرها فعال على الأطفال، منها:[23]

1- أن تكون ذات موضوع واحد محدد.

2- أن يكون أسلوبها جميل مشوق.

3- أن تحتوى على حبكة فنية جيدة.

4- أن تكون شخصياتها قليلة وقابلة للتصديق ومحببة للأطفال.

5- قابلية القصة للتمثيل والتعبير عنها بالحركات أثناء روايتها.

6- أن تكون من الواقع الثقافي والاجتماعى للطفل حتى يحدث تآلف بين عناصر القصة ووجدانه وعقله، وتؤتى ثمارها التربوية.

7- ألا تحتوى على أحداث تعتمد على الخوف والعنف؛ لأن ذلك يترك أثر سلبى على نفسية الطفل.

8- أن تبتعد عن أسلوب الوعظ المباشر.

9- أن تكون نهايتها سعيدة، ويتم فيها إنجاز عمل يتسم بالنجاح.

10- أن يكون للقصة التى تحكى للطفل عنوان تعرف به، يشتق من بيئة الطفل، ويكون عنوانا حسيا لا تجريد فيه.

قواعد وأسس رواية القصص والحكايات: هناك عدة قواعد لرواية القصة منها:

1- هيئة الراوي والمستمع: يجب أن يحرص الراوي على الجلسة الودية، وأن يغير وينوع في نبرات صوته، وتعبيرات وجهه، ويستعين بلغة الجسد من إشارات وإيماءات.

2- البساطة في رواية الحكاية: حيث يستحب البعد عن التكلف، والتصنع، والحرص على اختيار الكلمات والجمل المألوفة للطفل، والبعد عن الاستطراد، والحفاظ على تسلسل الأحداث.

3- الأداء المعبر أثناء الرواية: حيث يضع الراوي نفسه محل الأبطال والأحداث؛ يتأثر بهم وبها، وكأنه داخل الحدث؛ مما يوقظ خيال الطفل ويعيش الحدث هو الآخر.

4- سرد القصص التي تروي حكايات عن شخصيات ناجحة، أو التي حققت النجاح بعد الفشل؛ ليتعلم كيف يتغلب على الفشل، وألا ييأس، ويكرر المحاولة مستعينا بالله.

5- طرح الأسئلة على الطفل؛ لإيقاظه، وجذب انتباهه، وجعله مشاركا ومتفاعلا.

6- تشجيع الطفل حينما يجيب إجابة صحيحة، ومدحه بعبارات مناسبة ومعتدلة.

7- جعل القصة حافزا كي يجتهد الطفل في دروسه وواجباته المنزلية.

8- الاهتمام بعنصر التشويق؛ بالسكوت لبرهة أثناء سرد القصة، وجعل الطفل يطلب استكمال القصة.

9- اختيار القصص التي تخلو من المبالغة والكذب، والبعد عن الحكايات المرعبة.

10- البعد عن أساليب التخويف لاستعجال الطفل في النوم.

11- القدرة على التصرف في الحكاية: أي كيفية اختصارها، واختيار الأحداث الأهم من بين أحداث مزدحمة، والقدرة على التكثيف وإعادة التنظيم.

خصائص الراوي الجيد:

1- الموهبة مع الخبرة والتدريب.

2- اقدرة على اختيار القصة المناسبة لسن الطفل.

3- الحفاظ على روح الطفولة وحب الحياة.

4- القدرة على التخيل والإبداع.

5- الاستمتاع بالفكاهة والخرافات.

6- القدرة على مزج شخصيته بأفكار وشخصيات القصة، والتعبير عنها.

7- الاستمتاع مع الطفل برواية القصة.

8- القدرة على معايشة الحدث بصوته وتعبيراته.

9- المرونة وسرعة التصرف مع الحدث.

10- القرب من عالم الطفل وخياله.

ويذكر الكاتب الكبير عبدالتواب يوسف عددا من السمات للراوي الناجح منها:

- أن تكون الحكاية التي يحكيها الراوي للأطفال منتمية إليه، ولا بد أن يحبها، ويستمتع بها، ويحس بالرغبة في روايتها.

- ولأن الحكاية جزء من الراوي؛ لذا لا يجب ألا ينسى جزءا منها، أو يغفل عن جانب من جوانبها.

- يجب أن يرجع الراوي إلى التراث، ويستقي منه، ويستند إليه، وإلى ثقافته ومعارفه السابقة التي اكتسبها لنفسه خلال العمل مع الأطفال.

- على الراوي أن يحكي للأطفال ببساطة، وحب، وبشكل مباشر، وبإخلاص كامل؛ ليصل كل هذا إلى الطفل.

- على الراوي أن ينمي الأداة الرئيسة التي يستخدمها، وهى صوته؛ فينطق كلماته بوضوح، وقوة، ونبرة حلوة.

- على الراوي أن يراعي أن تأتي وقفاته في موضعها، وبمهارة، ويقظة.

- على الراوي أن يدرك أهمية استخدام المؤثرات الصوتية في حكايته؛ فيقلد أصوات الطيور والحيوانات والأشجار والرياح.

- على الراوي أن يحافظ على الصلة الحميمية بينه وبين الطفل المستمع، ويحافظ كذلك على جو الإثارة والتشويق.

- على الراوي أن يجدد انتباه الطفل، وحرصه على المتابعة ببعض الأسئلة مثل: ماذا أعجبك في شخصية البطل؟ ما الذي لم يعجبك؟ هل أحببت بطل القصة؟ ولماذا؟

- على الراوي أن يشرك الطفل في نوع الحكاية التي يجب تناولها: خيالية، خوارق، دينية.

قصص الحيوان Animal story

عرفت قصص الحيوان والطير على إنها "حكايات مستطرفة وأحاديث مستملحة تتضمن أقوالا وأفعالا تعزى إلى الحيوانات، ويقصد منها تهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك وإذاعة الآداب الراقية، ونشر الحكم بطريقة جذابة وأسلوب مؤثر."[24]

كما عرفت أيضا بأنها " فن أدبي إنساني تتخذ من النثر أو الشعر أسلوبا لها تكون الشخصيات الرئيسية فيها حيوانات أو جماد أو نبات أو طير، لكنها تحمل صفات الإنسان وتعمل مثله، تدور حول حدث معين في بيئة زمانية ومكانية معينة، تهدف إلى بناء الشخصية."[25]

وعلى أية حال فإن الأطفال يولعون بالقصص التي تدور على لسان الحيوان، وينتبهون إلى ما يحدث فيها أثناء القص، وبعدها يقومون بتقمص الأدوار التي يسمعونها، ولذلك فإن قصص الحيوان " تعتبر من

أمتع أنواع القصص لدى الأطفال، فالقصة التي تسرد على لسان الحيوان تكون أشد تأثيرا، وأثبت معلومة في ذهن الطفل، كما أن ألوان الحيوانات وحركاتها وأصواتها تجذب انتباههم، وتجعل مخيلتهم تهيم في عالم الإثارة والمتعة، ويشعر الطفل أنه متفوق على هذه الكائنات الحية بما يملكه من معلومات عنها ومعرفة بمواطن الضعف والقوة فيها."[26]

ومن هذا المنطلق كان لقصص الحيوان سحر خاص في نفوس الصغار، وسرعان ما تتكون صداقات بينهم وبين بعض الحيوانات ويعطونها صفات آدمية، كما إنهم يتأثرون ببعض صفات الحيوانات التي تعرض عليهم أثناء القص كالأسد الذي يمثل صفات الملوك، والكلب الذي يمثل الوفاء.

ولقصص الحيوان أنواع منها:[27]

أ – قصص تقوم فيها الحيوانات بأعمال البشر.

ب - قصص تقوم فيها الحيوانات بأعمالها العادية في الحياة.

ج – قصص على ألسنة الحيوان، ظاهرها التسلية، وباطنها الحكمة، ومن أشهر هذه القصص ما جاء بكليلة ودمنة وبعض حكايات أيسوب.

والقصة على لسان الحيوان- كما نقرؤها ونسمعها- قصيرة وتضم عدداً قليلاً من الشخصيات ،إضافة إلى حادث واحد تدور حوله. وأما عن القيمة الكبرى لهذا الجنس فإن د/على الحديدي يقول:" والقيمة الكبرى لهذا

الجنس الأدبي تكمن في أنها حكاية ممتعة، قصيرة، بسيطة، مشرقة، فيها عنصر التخيل والتمثيل"[28]

وأما عن الأهداف التربوية التي تحققها قصص الحيوان والطير فيمكن إجمالها في الآتي:[29]

1- إظهار بعض الصفات الكريمة التي يتصف بها الإنسان، والمأخوذة من صفات بعض الحيوانات والطيور، مثل وفاء الكلب، جمال الطاووس ومشيته، والسلام والوداعة (حمامة السلام).

2- إظهار بعض الصفات السيئة وتنفير الأطفال منها مثل نفاق الثعلب ومكره، وغدر الذئب، وغرور الطاووس، وأخذ الحيطة والحذر من الناس الذين يتصفون بهذه الصفات.

3- إثراء خيال الأطفال بما في تلك القصص من التخيل، والتمثيل بتحريك الحيوانات وإلباسها طباع البشر وخصائصهم.

4- تعميق خبرة الأطفال بالحياة بعرض الجوانب المختلفة من الطباع الإنسانية في صراعها مع بعضها بعضا، الصراع بين الطباع الخيرة والطباع الشريرة، لأن الطفل يعيش في الحياة بما فيها من خير وشر فيساعد ذلك على فهمه العميق للحياة والتعامل معها.

5- التسلية والامتاع وتخفيف التوترات الانفعالية التي تصيب الأطفال، وإدخال السرور والبهجة إلى نفوسهم، وتمكينهم من شغل أوقات فراغهم.

6- تقريب المفاهيم المجردة للأطفال بعرضها في صورة حسية تمكنه من فهمها واكتسابها بصورة سهلة ممتعة.

وهناك العديد من المؤلفين المحدثين والمعاصرين الذين لجأوا إلى عالم الحيوان ليصيغوا من خلاله العديد من القصص التي تقدم للأطفال اليوم، يأتي في طليعتهم، أحمد شوقي، وكامل كيلانى، ومحمد سعيد العريان، ومحمد عطية الإبراشي، عبد التواب يوسف، وأحمد نجيب، ويعقوب الشارونى، وأحمد سويلم، ...

وسنكتفى هنا بعرض نموذجين تطبيقيين لقصص الحيوان :

أولاهما :عند أمير الشعراء أحمد شوقي

وثانيهما: عند الشاعر أحمد سويلم.

1- قصص الحيوان عند أحمد شوقي

برع شوقي في استحداث " نوعين من فنون أدب الأطفال المكتوب في اللغة العربية، وهما القصة الشعرية والأغنية. وقد كتب للأطفال من الفن القصصي أكثر من ثلاثين قصة شعرية، ونظم لهم عشر مقطوعات ما بين أنشودة وأغنية. والقصص عند شوقي يمكن أن تهدينا إلى الحكم بأن

الشاعر كان يدرك أن أدب الأطفال أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، وأسلوب يكتشف به الطفل مواطن الخطأ والصواب في المجتمع، ويقفه على حقيقة ما في الحياة من خير وشر. وهذا الفهم العميق لأدب الأطفال قد منح شوقي لونا من المعرفة الواعية بنوع الأدب الذي يقدمه للأطفال، فأعطاهم به صورا من مجتمعهم الذي سيعيشون فيه، ومشكلات الحياة التي سيواجهونها فيما بعد."[30]

ولهذا " يعد أحمد شوقي من أهم شعراء العربية الذين احتل الحيوان والطير في شعرهم مساحات واسعة، يستلهمه ويأتنس به ويوظفه بل يستنطقه ويحكى بلسانه ما شاء من حكايات، راميا من ورائها إلى أبعد من مجرد ذلك الاستنطاق."[31]

ومن القصائد التى حكاها شوقى على ألسنة الحيوانات والطيور (الديك الهندى، الصياد والعصفورة، الثعلب والديك، القرد في السفينة ...) يقول في قصيدة الثعلب والديك: [32]

بَـرَزَ الثَّعلبُ يومًا في ثِيابِ الواعِظينا
فمَشى في الأرْض يَهذى وَيَسُبُّ الماكِرينا
ويَقولُ : الحمدُ لِلَّـ ـهِ،إلـهِ العالَمينا
يا عبادَ الله توبوا فَهْوَ كَهْفُ التَّائِبينا
وازْهَدوا في الطَّيْرِ؛إنَّ الـ عَيْشَ عَيْشُ الزّاهِدينا

وَاطْلُبوا الدِّيكَ يُؤَذِّنْ لصلاةِ الصُّبح فينا
فأتى الدّيكَ رَسولٌ مِنْ إمامِ النّاسِكينا
عَرَضَ الأمْرَ عَلَيْهِ وهْوَ يَرْجو أنْ يَلينا
فأجابَ الدّيكُ عُذْرًا يا أضَلَّ المهْتَدينَا
بَلّغِ الثَّعلبَ عَنّى عَنْ جُدودى الصّالِحينا
عَنْ ذوى التِّيجان مِمّنْ دَخَلَ البّطْنَ اللَّعِينا
أنَّهُمْ قالوا وخَيْرُ الـ قَوْل قَوْلُ العارفينا
"مُخطىءٌ مَنْ ظنَّ يَوْمًا أنَّ لِلثَّعْلَبِ دينا"

2- قصص الحيوان عند أحمد سويلم :

تنوعت دواوين سويلم في معالجة الأحدث من خلال الحيوانات؛ وذلك باعتبار الحيوان محببا إلى قلب الصغار. ففي ديوان (بستان الحكايات) نجدهُ يقص للصغار حكايات وقصص تعبر عن أمثال وقيم، وتنتهي كل منها باستخلاص الحكمة. وتكون هذا الديوان من عشر قصص، وكل قصة تحمل عنوانا منفردا، وهذه القصص هي:

حيلة – المؤامرة – البادئ أظلم – الضفدع والأسد – الثعلب الذكى – النسر والسلحفاة – النار للثور – اليقظة الدائمة – النصيحة الخائبة – نصيب الأسد.

وأما ديوان(واحة الحيوان) فإن سويلم اتخذ الحيوان أيضا موضوعا لديوانه "ولكن في سياق مخاطبة الذكاء، وتنمية مهارات تفكير الطفل،

والإعلاء من قيمة العقل، واستخدام المنطق العلمى، عبر مجموعة من المواقف التى تمثل مشكلات تقع فيها الحيوانات، وتحتاج إلى تفكير للخروج منها، وقد تبدو المشكلات بسيطة في تركيبها، ولكنها عميقة الأثر في استثارة مهارات التفكير لدى الأطفال."[33]

وبالتالى فإن ديوان (بستان الحكايات) وديوان(واحة الحيوان) عبارة عن قصص قصيرة يمكن القول: إنها تقتصر في تعبيرها اللغوي على إسداء النصح، والتوجيه إلى القيم الأخلاقية السليمة والمعرفية والسلوكية في الحياة اليومية.

يقول سويلم في قصة(وعد الغراب): [34]

وقع غراب في فخ

وحاول أن يخرج منه..

لكن .. لم ينجح !

وأخذ يصيح على كل طيور الواحة

وعلى الحيوانات ..

وأقسم لو خلصه أحد

من هذا الفخ

أن يمنحه جائزة قيمة وثمينة ..

****

فتقدم من بين الحيوانات .. القرد

وخلصه من فخه ..

وطالبه أن يمنحه جائزته ..

لكنه لم يلتفت للقرد

بل طار بعيدا عنه وهو سعيد بنجاته

وتمر الأيام ..

ويقع الغراب في فخ جديد

ويمر به الكلب

فيطلب منه أن ينقذه

من هذا الفخ

ويمنحه جائزة قيمة وثمينة !!

وهنا ..

ضحك الكلب وقال :

كيف أصدقك الآن ..

وبالأمس .. خدعت القرد ..

امكث في الفخ كما أنت

حتى يأتيك الصياد .. !!

مصادر ثقافة الطفل العربي

بقلم: أحمد سويلم

لابد فى البداية أن نقرر حقيقة مهمة: فالطفل ليس أعياداً ولا مؤتمرات ولا مناسبة واحدة فى العام.. وإنما هو هموم الكبار كل شهر.. وكل يوم.. وكل ساعة.

وهذا معاوية بن أبي سفيان يسأل الأحنف بن قيس:

- ماذا تقول فى الولد يا أبا بحر؟

فقال الأحنف: هم عماد ظهورنا.. وثمار قلوبنا.. وقرة أعيننا.. وبهم نصول على أعدائنا.. فكن لهم أرضا ذليلة.. وسماء ظليلة.. إن سألوك فأعطهم.. وإن استعتبوك فأعتبهم.. ولا تمنعهم رفدك فيملوا قربك.. ويكرهوا حياتك.. ويستبطئوا وفاتك.

فقال معاوية: لله درك يا أبا بحر.. هم كما وصفت.!

تلك إذن كانت نظرة العرب إلى أطفالهم.. لكن هذه النظرة لم تكن مقصورة على العرب وإنما كانت أيضا فى الحضارات القديمة.. يدل ذلك ما أجمله الحكيم المصري القديم (بتاح حوتب) فى دستوره التربوي حين قال:

- إذا نضجت وكونت داراً .. وأنجبت ولداً من نعمة الرب.. واستقام هذا الولد.. ووعي تعاليمك.. فالتمس له كل شئ حسن.. وتحرَّ كل خير من أجله.. فإنه ولدك وفلذة كبدك.. ولا تصرف عنه نفسك.

وجاء فى تعاليم مصرية متأخرة: إنه تمثال من حجر ذلك الابن الذى لم يعلمه أبوه.

تربية الطفل إذن قديمة قدم الإنسان.. ولولا أن القدماء فى الحضارات القديمة كانوا يعنون بهذه التربية ما كان لهذه الحضارات تلك المكانة التاريخية.. وما كانت إنجازاتها العلمية والثقافية والاجتماعية شاهدة عليها.. حيث تمثل العناية بتربية الطفل رسم حاضر ومستقبل للمجتمع يقوم على هذه العناية وما تتضمنه مناهج العمل والتعليم فى طور التربية المبكرة.

وفى حضارتنا العربية شواهد عدة على الاهتمام بالتربية.

فقد كان العرب قديماً يهتمون بتربية أبنائهم وينظرون إلى الابن على أنه (رجل صغير السن) أو على حد قول الشاعر عمر بن كلثوم:

إذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا

والأمثلة كثيرة تلك التى تدل على نظرة العرب لأبنائهم على أنهم مشاركون فى صنع الحياة بل لكونهم عناصر إنتاج فى المجتمع يعملون.. ويحاربون.. ويشاركون فى كل شئ..

ومن ثم تنبه العلماء والمفكرون العرب ووضعوا نظريات مختلفة عربية وإسلامية فى تربية وتعليم الأبناء ومن أشهر هؤلاء الذى كتبوا فى التربية: أبو الحسن القابسي – ابن سينا – ابن مسكوبة – إخوان الصفا الغزالي – الزرنوجي – ابن خلدون – ابن جماعة.. وغيرهم..[35]

وهناك ملاحظة مهمة فى هذا المجال.. فالثقافة لدى هؤلاء العلماء لم تكن تنفصل عن مناهج التعليم.. ويعنى ذلك أن الصغار كانوا يتلقون لونين من المناهج.. منهجاً تربوياً تعليمياً يهدف إلى تكوين وشحذ قدرات الطفل اللغوية والدينية ومبادئ العلوم بما يؤهله إلى تلقي منهج التربية الثقافية فى دور العلم.

وربما كان الجمع بين المنهجين التعليمي والثقافي ضرورة حتمية لعدم وجود دور نشر تعني فقط بتقديم الكتب الثقافية المختلفة التى تبتعد حتماً عن الكتب المنهجية فى المدارس.

فإذا قفزنا إلى عصرنا الراهن – مع اختلاف الزمان وتعقد الحياة – لوقفنا على مشاكل كثيرة نواجهها فى تربية أبنائنا.

من هذه المشاكل.. جمود وجفاف المناهج التعليمية وصعوبتها على عقلية الصغير.. وخلوها تماما من البعد الثقافي.. والجاذبية التى تجعل الصغير يقبل عليها باستمتاع.

كما أن الأمية أصبحت ظاهرة اجتماعية فى أي مجتمع لكن بنسب متفاوتة.. كما أصبح لها أشكال أهمها:

- الأمية الخالصة:

أو الأمية البيضاء.. ونعني بها عدم معرفة القراءة والكتابة.

- أمية المتعلمين:

وتسود فى وسط التلاميذ والطلبة فى مراحل الدارسة المختلفة حيث يحصر الدارس اهتمامه تماما فى الكتاب المدرسي المنهجي وحده دون أن يسمح لإدراكه باستيعاب كتب ثقافية عامة أخرى.

- أمية مثقفين:

وتتصل بمرحلة ما بعد التخرج فى الجامعة حيث يقصر المتخرجون اهتمامهم على الوظيفة العامة – إن وجدت – أو على اللعب وتزجية الفراغ فى أمور لا تتعلق بجدية الثقافة فتصدأ عقولهم.

- الأمية النسبية:

حيث يهتم المرء بمعرفة جانب معين من جوانب المعرفة أو الثقافة دون غيره.. ولا يقترب من ساحة الثقافة العامة.

كما يشهد عصرنا كذلك استخدام الوسائل التكنولوجيا الحديثة وساحات التواصل الاجتماعي فى الثرثرة واللعب دون الاستفادة من المواقع الثقافية التى تضيف إلى العقل والوجدان.

ونختم هذا التمهيد بطرح سؤال مهم يخص عصرنا الحاضر:

- هل هناك أدب واحد أم أدبان أحدهما للكبار والآخر للصغار.

ولا نريد أن نتحدث فى هذا الموضوع بإسهاب.. لأن الواقع المعاصر يشهد بوجود أدبين: أدب يكتب للكبار.. وآخر يكتب ويوجه خصيصاً للصغار عن طريق الشعر والنثر.. ويهدف فى النهاية إلى تنمية وعي الطفل (حتى سن 18 عاماً) وإذكاء خياله.. وتثقيف عقله.. وغرس القيم الخلقية والاجتماعية.. والترفيه والترويح.. وتنمية القدرات وغيرها من القيم المعرفية المناسبة للمرحلة العمرية..

وإذا كان هناك أدبان.. فهناك أيضا كاتبان.. كاتب للكبار وآخر للصغار والناشئة.. وقد يجمع الكاتب بين المجالين إذا كان لديه القدرة على ذلك.

ونعتقد أن الكتابة للطفل هى أصعب من الكتابة للكبار فكاتب الكبار غالبا ما لا يضع أمام عينيه المحاذير اللغوية أو المضامين والموضوعات بمشاكل الكبار.. أما كاتب الأطفال والناشئة.. فهو يواجه بكيان عقلي ناقص النضج - يتمتع بسيكلوجية خاصة – لابد أن يفهمها ويتعرف عليها – ومن ثم يوجه إليها ما يناسبها من الثقافة والمعرفة.. والمعلومات الصحيحة.. التى لا تحتاج إلى تأويل.. وبلغة بسيطة سلسلة تحمل المضامين المستمدة من عالم الطفل.. وفى قوالب فنية مقبولة.

أما ما يعتمد عليه كاتب الأطفال من مصادر.. فهو مجال مفتوح لكننا سوف نحاول وضعه فى دوائر معينة يستطيع كاتب الأطفال أن يحيط بها ويقدم من خلالها مضامينه للصغار مع مراعاة المرحلة العقلية وقدرة الطفل على الاستيعاب.

أهم مصادر ثقافة الطفل العربي

تعددت الآراء التى تدور حول مفهوم الثقافة..

أما المعاجم العربية فتعرفها فى مادة – ثقف – أي سوَّى الرمح وهذبه وشحذه.. ثم استعيرت إلى العقول[36]

أما لفظها الأجنبي Cultur فيعني فى أصله اللغوي – الزراعة والتهذيب واصطلاحا تعنى الثقافة جميع المناشط والاهتمامات المميزة لشعب ما أما المدلول الاجتماعي أو العام للثقافة فهو الحضارة.[37]

ويقول: قاموس مصطلحات الفولكلور.[38]

- الثقافة هى مجموع الفروض الأيديولوجية والسلوك المكتسب والسمات العقلية والاجتماعية والمادة المتناقلة والتى تميز جماعة بشرية.

ولسنا هنا فى مجال الجدل حول الثقافة لكننا نود فقط أن نؤكد على مفهوم مهم بالنسبة للأطفال.. فالطفل فى حاجة إلى ثقافة متنوعة حتى يملأ بها فراغ عقله.. ويستفيد من قيمها التى تضمها.. ويستطيع بها أن يمارس حياته فى متعة وسعادة..

وتسود ثقافة الطفل العربي المضامين الأدبية.. وتسجل الموضوعات العلمية نسبة ضئيلة فى هذه الثقافة.. ويرجع هذا الأمر إلى اهتمام العرب بالشعر والمقامة والحكاية الشعبية والأساطير.. وغيرها من الموضوعات التى توضع تحت لافتة (الثقافة الأدبية).

ومن ثم يعتمد كاتب الأطفال العربي المعاصر على مصادر عدة يستمد منها مضامين المناسبة.

لكن هناك ملاحظة مهمة فى هذا السياق.. فهذه المصادر التى سوف نعرض لها مكتوبة – أصلا للكبار – ولم تكتب للصغار.. ومن ثم فإن كاتب الطفل التى يرجع إلى هذه المصادر مطالب بإعادة صياغتها لغويا وتربويا.. لكي تناسب عقلية المرحلة السنية المواجهة إليها..

إنه مطالب مثلاً بحذف ما لا يناسب الطفل.. وإضافة ما يناسبه وتبسيط اللغة.. والبعد عن الغموض.. والسلاسة فى تتابع الأحداث.. والحرص على الاختيار والاصطفاء لتلك الموضوعات التى تغرس القيم الخلقية وتعين الطفل على اختراق صعوبات الحياة.. والتمثل بالقدرة.. وغيرها من القيم الإيجابية..

أولا: الموروث الشعبي

يهتم هذا الموروث الشعبي أو الفولكلور Folklor بالعادات الشعبية والمعارف – والأدب والحكايات والفنون والثقافة المادية.[39]

ويمكن أيضا أن يطلق الفولكلور على ما يشمل جميع ثقافة الشعب.. التى تدخل فى نطاق الدين الرسمي لا التاريخ ولكن تنمو بصورة ذاتية.. وعلى هذا فإن ما فى الحضارة من الموروثات الفلولكورية الباقية.. وكذلك مظاهر الفولكلور لدى القبائل الهمجية – البدائية – كلاهما ينتمي إلى بدائية الأنوع الإنساني.[40].

وينظر إلى الأدب الشعبي على أنه أهم حلقة من حلقات الموروث الشعبي.

فهو عريق.. ولكنه حيّ يتردد بين الآحاد والجماعات وهو لذلك يتطور بتطور الشعب.

وتيسيرا للعرض يمكن تقسيم مصادر أدب الأطفال فى الثقافة الشعبية فيما يلي مع مراعاة أن هذه المصادر تؤكد ضرورة أن يرتبط الطفل العربي بتراثه وتاريخه وهويته العربية.. وأن يكون على معرفة بثقافة العالم ليضيف إلى عقله ثقافة أخرى فتكتمل شخصيته وينمو عقله ويجمع بين الماضي والحاضر فى وعي ومعرفة..

1- ألف ليلة وليلة

هذا سفر من أسفار التراث الشعبي الشرقي الذى تأثرت به الثقافة العالمية حينما ترجم على يد أنطوان جالان عام 1704 إلى الفرنسية.. ثم ترجمه إلى الإنجليزية واللغات الأخرى بعد ذلك..[41].. وألف ليلة وليلة.. تضم مجموعة من القصص تحكي

على لسان شهر زاد إلى الملك شهريار.

ويقسم الباحثون الليالي إلى مجموعات ثلاث:

1- قصص مقتبسة من أصول عربية وشرقية.

2- قصص بغدادية تنتمي إلى عصر هارون الرشيد.

3- قصص مصرية وضعت فى العصر الفاطمي والمملوكي.. مثل السندباد– حسن البصري – معروف الإسكافي – قمر الزمان – علاء الدين – الحصان المسحور.

وتتميز قصص ألف ليلة وليلة بعناصر المتعة والتشويق والإثارة والخيال والخرافة والقيم الخلقية.. والخير والشر.. والبطولة.. وغيرها.

ومن الدراسات المهمة فى هذا المجال تلك المقدمة التى كتبها رشدي صالح فى صدر ألف ليلة (المبسطة) الصادرة عن دار الشعب فى ثمانية أجزاء وجاء فيها: إن التمهيد الذى سبق ورود الليالي هو بمثابة تبرير لسرد القصص والحكايات ومن ثم ظهر البطلان –شهريار وشهر زاد– كما أن طريقة تكوين الحكايات تتسم بالاستطراد.. والحكايات الأصلية تتفرغ إلى نوادر متتالية تستقبل تراكمات من الأحداث تساعد على (تفريج) أحداث القصة الأصلية من الموقف المتأزمة الذى بدأ وكأنه ليس له نهاية واضحة لنا وتنقسم الحكايات إلى أنواع ثلاثة:

1- الحكاية الشارحة حيث تفسر صفة أو أكثر من صفات الحيوان أو النبات أو ظاهرة من مظاهر الطبيعة أو تجيب عن تساؤل ينشأ فى ذهن الإنسان الشعبي.. ومثال ذلك جبل المغناطيس الذى يتردد فى حكايات البحارة.. وتعرف منه أن سفنا كثيرة تحطمت على صخور هذا الجبل بجذب مساميرها وأجزاء الحديد فيها.. وحقيقة الأمر أن هذه الصخور هى شعب مرجانية كانت تمثل خطراً على الملاحة فى تلك العصور.. لكن

الذهن الشعبي لم يكن يعلم عنها ما يعرفه علم البحار المعاصر.. فكان عليه أن يخترع سبباً خيالياً – شارحاً – لخطرها ثم يمنطق هذه الظاهرة ويكسوها بكساء خرافي.

2- الحكاية الأخلاقية: وغايتها التأكيد على القيم السلوكية الفاضلة سواء بتعديلها وتحسينها أو تقبيح نقائها.. عن طريق إظهار الخطيئة والعقاب.

كما تؤكد هذه القيم علاقة الرجل والمرأة المقدسة ودورها الممتع.

3- الحكاية الاعتقادية: وتبدو فى القوى الخارقة والجن والسحر.. وما تنطوي عليه من الخير والشر.

وكانت ألف ليلة وليلة تحكى – قبل تدوينها على ألسنة الحكائين والقصاص.. والقاص أو الحكاء أو المسامر أو الشاعر ظاهرة قديمة فى المجتمع العربي.

ويذكر أن معاوية كان أصدر مرسوماً بتولي رجل على القص فكان إذا صلي الصبح جلس يذكر الله ورسوله.. ثم دعا للخليفة وحزبه.. ودعا هل خصوميه وحزبهم.. ثم بدأ يحكى..

وقد نقلت أقاصيص الهند فى القرنين الثالث والرابع من الهجرة إلى الفارسية ثم إلى العربية.. وأضيفت إليها حكايات فارسية وعربية ووضع لها إطار الحكى بين شهريار وشهر زاد.

نحن إذن أمام تراث شعبي عظيم.. وعلى من يقترب منه.. من أجل الأطفال أن يدقق ويصطفي وينتقي ويعيد صياغة قصصه بما يتلاءم مع وجدان الصغير.[42]

ومن الذين اجتهدوا وتفوقوا فى تقديم وتبسيط ألف ليلة للأطفال: كامل كيلاني (عشر قصص) ثم قدم سلسلة أخرى (قالت شهر زاد) واستوحى منها سلاسل أخرى مثل (عجائب القصص – قصص فكاهية).

كما تناولها آخرون مثل: محمد أحمد برانق وسعيد العريان وحسن جوهر وأمين العطار وأمين دويدار ومحمود زهران ومحمد شفيق عطا و عطية الإبراشي وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

وتعددت أساليب تقديم ألف ليلة للأطفال.. فمن الكتاب من حافظ على جوهر القصة وأضاف من عنده بعض الأحداث الكاشفة الشاقة لكنه احتفظ بالفكرة والأبطال..

ومنهم من أضاف أبطالاً وأحداثاً فى رؤية معاصرة.. ومنهم من كتبها نثراً.. ومنهم من كتبها شعراً أو مسرحاً.. ومازالت ألف ليلة تدعو كتابنا المعاصرين للغوص فيها وتقديمها للأطفال.

2- كليلة ودمنة وقصص الحيوان

يعد كتاب كليلة ودمنة من أهم مصادر أدب الأطفال العربي اعتمد عليه كثيرون فى تقديم الحكمة والمتعة والقيم للصغار على ألسنة الحيوان.[43]

وبعيد عن الجدل الذى يتعلق بنقل كليلة ودمنة إلى العربية وما إذا كان ابن المقفع ألفه أم ترجمه.. أم جمع بين التأليف والترجمة.. فنحن أمام حقيقة تاريخية تقول: إن هذا الكتاب ولد على أيدي الفيلسوف الهندي (بيدبا) فى أربعة عشر بابا على ألسنة البهائم والسباع والوحش والطير ليقدمه بيدبا إلى الملك (دبشليم).. من سلالة من قهرهم الإسكندر الأكبر حين زحف على الهند حوالي 226 ق.م..

ثم نقله إلى الفهلوية (برزويه) الطبيب الفارسي فى عهد كسري أوشروان ومنذ هذا التاريخ اهتم العالم شرقا وغربا بكليلة ودمنة حيث نقل من العربية إلى لغات لعالم الأخرى ومن بينها الفارسية والهندية.. (لضياع الأصل الهندي والأصل الفارسي).

أما طبعات اللغة العربية المعاصرة فإن أشهرها نسخة د. عبد الوهاب عزام العالمية.. ونسخة الأب لويس شيخو اليسوعي.. ونسخة الشيخ خليل اليازجي.. ونسخة محمد حسن المرصفي المتداولة فى مصر.

وتأثر بكليلة ودمنة شعراء وكتاب عرب كثيرون منهم ابن الهبارية (المتوفى1110م) فى كتابه (الصادح والباغم – وأبو عبد الله القرشي) فى كتابه (سلوان المطاع فى عدوان الطباع)- وابن عربشات فى كتابه (فاكهة الخلفاء) وغيرهم.

وينقسم كليلة ودمنة إلى عدة أبواب هى:

- باب الأسد والثور: يضرب مثل للمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال.

- باب الحمامة المطوقة: يضرب مثلا لإخوان الصفاء وأحوالهم.

- باب البوم والغربان: يضرب مثلا للعدو مهما أظهر تملقا وتضرعاً.

- باب القرد والفيلة: يضرب مثلا للرجل الذى يطلب حاجة فإذا ظفر بها أضاعها.

ومن المؤكد أن التعامل مع حكايات كليلة ودمنة ينبغي أن يخضع لمعيار الاصطفاء والانتقاء.. فليس كل ما يطرح فى الكتاب يصلح لتقديمه للصغار – كما هى الحال فى ألف ليلة - وإنما علينا أن نتروَّى ونفكر ونعيد النظر فيما تطرحه هذه الحكايات من قيمة إيجابية وسلبية وأسس تربوية تدخل إلى وجدان الطفل المعاصر فى ارتياح شديد.

إن الطفل فى سنواته الأولي مشغوف باللعب مع الحيوان.. فهما يتشابهان فى أمور كثيرة.. ومن ثم على الكاتب أن يضع فى اعتباره هذه الحقيقة فيقترب من عالم الحيوان ويقربه ويجيبه لدي الطفل الصغير.. برسوم ولغة وعرض بسيط شائق.. وبهذا يمكن الاستفادة من قصص هذا الكتاب المهم فى مجال أدب الأطفال.

وحكاية إيسوب تتلخص فى أنه تقرب إلى ملك مدينة ساروس.. فأسره بحديثه وحكاياته وخفة ظله.. فانتدبه الملك للسفر إلى بعض الولايات التى يحدث بها قلاقل وفتن مختلفة.. لكى يفضَّ المنازعات ويوقف تلك الفتن.. عن طريق إلهاء الناس بحكاياته.. لكن حياة إيسوب انتهت بالقتل فى (دلفي) دفاعا عن مطالبته بحياة الإنسان وإرساء الفضيلة والمحبة.

3- خرافات إيسوب

وإيسوب هذا ولد فى اليونان عام 620 ق.م وعاش حياته عبدا يعانى أغلال الرق.. لكنه اشترى حريته بالحيلة البارعة والذكاء النادر والحكى على لسان الحيوان.[44].

وأول من ترجم إيسوب إلى الفرنسية كان لافونتين فى القرن السابع عشر

ثم استلهمها فى العربية محمد عثمان جلال فى كتابه (العيون اليواقظ فى الأمثال والمواعظ) وأحمد شوقي فى (حكاياته).

وهذه الحكايات تحمل ثراءًا أدبياً.. بحيث تتيح عن يريد أن يقدمها للأطفال أن يستلهمها ويكتبها شعراً أو نثراً..

فقد كتبها عثمان جلال وشوقي شعراً..

وكتبها كامل كلاني وغيرها نثرا مبسطاً..

وقد تقدم دراميا.. فى صورة حواريات بسيطة بين الأبطال الحيوان.. أو مسرحاً يضم عددا من هذه القصص فى إطار الغابة مثلا..

وقد حاول كثيرون من الكتاب المعاصرون كتابة هذه الحكايات فوجدوا فيها زاداً ثريا لا ينضب.

المهم فى هذا الأمر أن نتعامل مع هذه الحكايات بنفس معيار الحذر والانتقاء الذى تعاملنا به من قبل فى ألف ليلة أو كليلة ودمنة.

4- أمثال لقمان الحكيم

اختلف المؤرخون حول هذه الأمثال.. فمنهم من أكد ورودها فى العهد القديم... ومنهم من نسبها إلى العرب.[45]

وبعض هذه الأمثال على لسان الحيوان..وهى تشبه خرافات إيسوب وكليلة ودمنة.. وبعضها جاءت فى صورة مواعظ وأمثال يشترك فيها الإنسان مع الطبيعة.. لكنها صيغت بعد ذلك وأضيف إليها وأصبحت من المصادر الفولكلورية لأدب الأطفال.

ويذكر أن هذه الأمثال كانت تعرف فى الزمن القديم تحت اسم (فن الأبولوجيا) حيث درج الأمراء منذ طفولتهم الباكرة على سماع الملق وهم يستعدون لاعتلاء عروشهم ليمارسوا حكماً استبدادياً مطلقاً.. من ثم ساق الحكماء نصائحهم تحت قناع رمزي هو فن الأبولوجيا تمام كما حدث مع بيدبا ودبشليم.

ومن القصص الشهيرة القصيرة التى جاءت فى أمثال لقمان ووجدنا تشابها لها فى إيسوب وربما كليلة ودمنة.. هذه القصة التى تقول:

- مرض أسد فذهب إليه الثعلب ليعوده ووقف ببابه قائلا: كيف أنت يا ملك الوحوش.. فرد الأسد: لم لا تدخل يا أبا الحسن.. فكان جواب الثعلب: لأني اقتفيت أثار أقدام الحيوانات التى زارتك قبلي فوجدتها دخلت ولم تخرج.!.

والمغزي بالطبع: لا يجوز الإقدام على عمل قبل تمحصه والتروي فى نتائجه.

وهكذا نجد حكايات أخرى تشرح سلوكيات الإنسان فى حياته ولكن على ألسنة الحيوان.. ومن ثم فإن تقديم مثل هذه الحكايات بعد الإفاضة فى شرحها وفى حواراتها بأسلوب شائق جذاب يفيد الطفل ويقف به على قيم كثيرة تساعده على حياته.

5- السير الشعبية

السير الشعبية جانب مهم يدخل تحت الموروث الشعبي.. وتعد أحد مصادر أدب الأطفال المهمة.[46]

وبالرغم من أن السيرة الشعبية التى وصلت إلينا قليلة العدد فإن الكتاب قد أقبلوا عليها يقدمونها فى أشكال مختلفة من التبسيط والتيسير والتخليص ومن الكتاب الذين أسهموا فى ذلك: محمد سعيد العريان – محمد أحمد برانق – عباس خضر – كامل كيلاني – فاروق خورشيد وآخرون.

وبنفس أسلوب التعامل مع ألف ليلة وليلة أو كليلة ودمنة.. يمكن أن يتعامل كاتب الأطفال مع السيرة الشعبية فى إطار كثير من العناصر منها:

1- أن السيرة الشعبية منبع خصب للخيال.

2- إنها تتميز باحتضان القيم الإنسانية والصراع بين الخير والشر وانتصار الخير.

3- أنها تقدم نماذج البطولة العربية التى تعتمد على الشجاعة والإقدام وترفض التواكل والفشل والتقاعس عن العمل.

4- أنها تقدم مواقف يمكن أن تتشابه وتتكرر فى أي عصر.. باعتبار السيرة هى سيرة نماذج بشرية فى جميع أحوالها وتقلباتها.

5- أنها تقدم الأصالة العربية بما فيها من عراقة الماضي وروعته.

6- أن الهوية العربية تتجلي فى كل أحداثها.

7- أنها تقدم الأمثلة والقدوة بكل ألوانها وطيوفها.

8- أنها تجسد حاجة المجتمع إلى البطل الشعبي فى كل العصور.

أما القوالب الفنية التى يمكن أن نقدم من خلالها السيرة الشعبية لأطفالنا فيمكن أن تكون أحد القوالب التالية:

1- تبسيط أو تيسير السيرة فى قصة متعددة الفصول أو الأجزاء.

2- تقديمها فى صورة درامية مسرحية.

3- تقديمها أو تقديم جوانب منها فى قصص قصيرة.

4- التعبير عنها شعراً.

5- تقديمها فى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة.

وهناك ملاحظة متكررة فى مجال استلهام الموروث الشعبي ومنه السيرة الشعبية.. حيث يجب أن توضع تحت مشرط الاختيار والتنقية والتصفية بحيث نحترم فيما نقدم عقلية الصغير وما يتناسب مع مرحلة عمره ومع مستوى إدراكه وثقافته ووعيه ووجدانه.. فنسقط كل ما يطيح بقيم الصغار.. ونعمل على تغذية خيال ووجدان وعقل الصغير بكل ما يفيد وما يضيف..

لقد جاءت السير الشعبية تصويراً حيا للبطل العربي الذى لا يقهر وتتضافر هذه الصورة مع الأبطال الجانبيين فى محاربة الشر ويرمز له ويسمى فى كل السير الشعبية بالكفر والخروج على الدين والعودة إلى عبادة الأوثان.. فكان فكرة الخير والشر فى هذه السير تشكلت تشكلا إسلامياً يتآلف مع العقيدة الإسلامية ولا يختلف معها..

وتلك ملاحظة مهمة يحسن لكاتب الأطفال أن يبرزها ويجسدها لتصحيح الأفكار المغلوطة لدي الشباب العربي.

6- الحكايات العربية الشعبية

تحفل كتب الأدب العربي بالقصص والحكايات القصيرة والحكايات الشعبية التى تصور حياة العرب فى الجاهلية والإسلام من خلال مواقف للكرم والفروسية والتسامح والصبر والشجاعة والاقتحام والصدق وغيرها من الصفات التى يتحلى بها الإنسان الكامل.[47]

وقد اجتهد المصنفون لهذه الحكايات فى إصدار عشرات الكتب التى تتضمن الحكم والأمثال والقصص الشعبي والبطولات.. وحكايات جحا وأشعب وغيرهما.

وهذه الحكايات كلها تمثل زاداً ثرياً يدعونا إلى استلهامها وتقديمها للأطفال على أسس تربوية ملائمة.

إن الطفل المعاصر فى حاجة إلى معرفة تاريخه وهويته عن طريق هذه الحكايات التى تقد المواقف والشخصيات التى تعد نموذجاً له حينما يفتخر ويزهو بتاريخه وعروبته.

أما القوالب التى تقدم فيها الحكايات فهي مرنة ومتاحة للكاتب مادام يمتلك القدرة على صياغة الحكاية وتقديمها بأسلوب جذاب بعيدا عن الوعظ والحكمة.

وهذه الحكايات متعددة الأغراض.. فبعضها يتناول مفاهيم الفروسية والشجاعة وبعضها الآخر يتناول الحكمة وحسن التصرف.. كما نجد أيضاً قصصا تقدم النوادر التى تتحدث عن الذكاء والفطنة والحمق والبخل والتطفل.. ونجد نوادر فكاهية مثل حكايات جحا وأشعب.. ونوادر عن ذكاء الطفل وبداهته أمام الحكام.

هى إذن حكايات – على قصرها – تقدم للطفل متعة حقيقية وتعرفه على تاريخه العريق وعلى حكمة العربي – صغيرا وكبيرا – كما تقدم له المثل والقدوة.. وتكامل الشخصية.

ثانيا: قصص الكتب المقدسة والقصص الديني

والكتب المقدسة ثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن.

وهذه الكتب مملوءة بالمواقف والقصص الإنسانية والدينية التى تحمل فيما إيجابية أخلاقية.. وتعد مصدراً مهما من مصادر أدب الأطفال.

فهناك سير الأنبياء والرسل.. ويمكن تقديمها فى قصص مبسطة والتركيز على صبر هؤلاء الأنبياء فى مواجهة أعدائهم من أجل القيم العليا وعبادة الله الواحد.

وهناك قصص الصحابة ومواقفهم التى استطاعوا من خلالها الحفاظ على العقيدة.. وتحمل الأذى فى سبيلها.

وهناك القصص التى تدور حول مواقف إسلامية أو دينية أخرى وتقترب من الحس الإنساني.. باعتبار أن الدين إنساني بالدرجة الأولي.. وتقديم مثل هذه الحكايات تثبت فى الوجدان قيم الخير والحق والصدق والعطاء والكرم وغيرها.

إن هذه القصص تمثل زاداً روحيا وإنسانيا حيث تقدم المثل العليا والقيم الدينية المفتقدة.. وما أحوج أطفالنا إلى التزود ومن هذه المعرفة خاصة تلك التى تقدم النماذج والقدوة فى المجالات المختلفة.. وكيف كانت طفولة هؤلاء العظماء تلك الطفولة التى أخذت تتطور حتى أوصلت صاحبها قمة العظمة والحكمة.

وهى قصص يمكن تقديمها بأساليب مختلفة فقد يكون بطلها الشخص نفسه أو يكون بطلها الحدث.. المهم أن الطفل فى النهاية يخرج من القصة ثابت القلب فى عقيدته.. متمثلا ومستمتعا بما جاء فى هذه القصص.

ثالثا: الأساطير القديمة

ترتبط الأسطورة دائما ببداية الإنسان أو بداية الخلق.. حيث مارس الإنسان السحر وأدي الطقوس الدينية التى كانت – فى تصوره – سعيا فكريا لتفسير ظواهر الطبيعة.[48]

ويجمع الباحثون على تعريف الأسطورة بأنها قصة خرافية تدور حول كائنات وهمية تصدر قوى طبيعية تكون الأحداث فيها رمزية..

وللأساطير تقسيمات كثيرة لكنها يجمعها أربعة أنواع هى:

1- الأسطورة الطقوسية المرتبطة بالعبادة.

2- الأسطورة التعليلية ويتصل بها السحر وعالم الروح.

3- الأسطورة الرمزية حيث تخلع صفات الآلهة على الإنسان.. ليكون قادراً على مواجهة تحديات القدر (مثلما نري فى أساطير الإغريق والمصريين واليهود).

4- الأسطورة التاريخية: وبطلها مزيج من الإله والإنسان فى محاولة لتجسيد فكرة الخير والشر.

وللعرب أساطيرهم القديمة المرتبطة بالعقيدة.. وعصر الطوفان والعماليق وعاد وثمود.. وغيرها من الأحداث والأبطال.

وحينما نتناول الأساطير ونقدمها فنحن أمام أسئلة كثيرة تتعلق بعناصر الخيال والإثارة والخرافة والقدرات الإنسانية الخارقة.. وتجسيد فكرة الخير والشر وغيرها مما يؤكد القيم فى وجدان الصغير.

ولا يوجد شعب من شعوب الدنيا بلا أساطير خاصة تتعلق ببداية الخلق والسيطرة على الأرض.. والبطولة والانتصار على قوى الطبيعة الشرسة..

ومن ثم فإن تقديمها للطفل فى صور مبسطة ينمي خياله ويغذى عقله معا..

نعم كان للعرب أساطيرهم الخاصة مثلهم مثل كل الشعوب القديمة.

وقد لاحظ فاروق خورشيد فى كتابه (الرواية العربية).49 أن ثمة أخبارا تجرى مجرى حكايات السحر والخرافية.. وحكايات أخرى أسطورية عجيبة مثل قصة الخضر – وقصة بناء الكعبة.. وحكايات على ألسنة الحيوان.. وقصة ضياع الحارث من حضاض الجرهمي آخر ملوك جرهم المتوجين.

ومن المؤكد – تاريخيا – أن الصراع الذى نشب بين القحطانين والعدنانيين وكانت له بذوره فيما نشب من خلاف بين مكة ويثرب عمل على خلق مثل تلك الأساطير التى أشار إلى بعضها وهب بن منبه.. والهمذاني – وابن سعيد الأندلسي وغيرهم.

وهناك بحوث مهمة فى الميثولوجيا عند العرب أهمها ما قدمه محمود سليم الحوت.[50].

ويطوف المؤلف فى كتابه بآلهة العرب وأشهرها من الأصنام والأوثان وكيف عبدوا هذه الآلهة وعبدوا أيضا النجوم وقدسوا الإنسان والحيوان والنبات.. وساق عاداتهم والطواف حول الكعبة.. وإقامتهم الأسواق.. ثم يعرج على أساطير قحطان وعدنان.. والعرب البائدة.. وسد مأرب.. والخورنق.. والبسوس.. وما وراء الطبيعة من الملائكة والجن وإبليس.. ثم يتناول صدى ذلك كله فى الشعر والتاريخ.

ومصاحبة الأساطير تمكن الكاتب من اختيار الملائم للطفل بما ينمي وعيه وخياله.. ويزيده معرفة بأسلافه وكيف كانوا ينظرون إلى العالم والآلهة وكل هذا زاد لا ينفد وخيال خصب لا يتوقف.

رابعا: التأليف والترجمة

أي أن الكاتب هنا لا يتخلي تماماً عن العودة للمصادر السابقة وإنما هو يبذل جهدا خاصا فى البعد عنها ليخرج لنا بشئ جديد من فكره الخاص.

إنه يعتمد على الإبداع الخاص.. نثراً أو شعراً.. قصة أو رواية أو مسرحا أو قصيدة شعرية.. ولا يعتمد على مادة جاهزة.. وإنما هو هنا يحاول أن يخلق لنفسه عالما جدياً تماماً.

وبالنظر إلى ساحة الإبداع للطفل.. ندرك أن مظهر التأليف يقل فيها ويكثر فيها الإعداد والاقتباس وإعادة الصياغة والتبسيط والتيسير.. وربما

يلجأ الكاتب إلى هذا لطغيان المادة السابقة وطرافتها وثرائها وملاءمتها لكل إبداع.

ونحن فعلا فى حاجة إلى التأليف فى بعض الموضوعات الجديدة العلمية التى تسود عالم اليوم وتصلنا عن طريق الترجمة.

وحينما نتحدث عن الترجمة.. فنحن أمام محاذير كثيرة علينا أن نتنبه لها ونحن نقدمها إلى الطفل.. أهمها:

1- ألا يكون النص المترجم متعارضاً مع بيئة وعادات وسلوكيات الطفل العربي.

2- ألا يكون متعارضا مع عقيدته الدينية.

3- أن يشكل إضافة حقيقية إلى عقل الطفل العربي دون أن يطغي على هويته وشخصيته العربية.. فيحدث التكامل المعرفي.

ومن ثم فإن التدقيق فى اختيار النص الذى يمكن ترجمته فى غاية الأهمية حينما نريد أن نقدمه للطفل العربي.

إننا لسنا ضد الانفتاح على ثقافة الآخر.. ولكن بأسلوب يحقق التكامل المعرفي والغذاء العقلي والوجداني المفيد.

وهناك مثل قريب يتجسد فى ترجمة (هاري بوتر) حيث نشعر أن الأحداث والبيئة التى تحيط بالبطل مستمدة من الفكر الشرقي خاصة فى ألف ليلة وليلة.. ولكن بجرعة سحر وخرافة على أسس علمية معاصرة.

وهذا أمر غير مرفوض يضاف إلى ثقافة طفلنا العربي.

خاتمة:

لقد خلفت الثقافة العربية على مدي تاريخها الطويل تراثا كبيراً ثريا من الحكايات والنوادر والقصص والملاحم التى تنتمي إلى الإنسان جيلا بعد جيل.. وكشف عن أسراره وسلوكياته وقيمه وثقافته وعقيدته.

وهو زاد لا ينفد متناثر ومجموع فى كتب كثيرة قديمة وحديثة..

وتحرص الأمة العربية على تقديم تاريخها وتراثها وأساطيرها لأبنائها الكبار والصغار.. ومهما اختلفنا على إطارات وأشكال هذا الموروث فإن من أهم صفاته الاحتفاظ بما يتفق مع التطور.. فلا يناله القدم بل هو يتيح لمن يقترب منه الاستغناء عما لا يقبله.. وتعديل ما يستحق أن يعدل.. والتبديل والتغيير كما يشاء فى ظل المعاصرة.

لهذا فإن عناصر الموروث وأبطاله ورموزه وسيره وأساطيره تخترق الزمن.. فيصل إلينا ما يحمل دلالات العصر.. وما يمكن أن يعيش فى الوجدان العام بغض النظر عن عنصري الزمان والمكان.. وهى معطيات تحتفل بالقيم العليا فى المجتمع المعاصر..

وفى النهاية.. فإن الفكر سماء مفتوحة بكل القيم والمثل.. وعلينا أن نجتهد فى استلهامه لأبنائها لكي نرسخ فى عقولهم قيم الانتماء والهوية العربية..

انتصار عبد المنعم

وفراشتها الجميلة

بقلم أحمد سويلم

من النادر أن نجد عملاً للأطفال مبتكرًا غير مسبوق.. وهذا يعتمد على قدرة المبدع فى صنع عالمه.. ومحاولته البعد عن المألوف..

وبين أيدينا قصة بعنوان (عندما كنت فراشة) للكاتبة المبدعة انتصار عبد المنعم ورسوم الفنانة سحر عبد الله.. والصادرة عن دار نهضة مصر.

وحينما انتهيت من قراءة القصة تذكرت تلك المقطوعة الشعرية القصيرة التى أقول فيها:

أتمني لو كنت فراشة

أتنقل فوق الأغصان

وبين الأنوار بخفة

حين يراني أصحابي فوق الورد المتفتح

يظنون بأني جزء منه..

فأنا ألواني مثل الورد

بها حسن ولطافة

وحين يروني فى النور الساطع

فأنا أتألق فيه ألواناً شفافة

وعالم الفراشات عالم عجيب حقا.. يدل على قدرة الله فى خلقه.. ولا يستطيع أحد مهما تأمل هذا العالم أن يجد عناصره متشابهة من هنا كانت هواية الأطفال: جمع أو اصطياد الفراشات والاحتفاظ بها أو وضعها فوق لوحة بعد أن تُثبَّت أجنحتها فوق اللوحة.

وقصتنا تقوم على ممارسة هذه الهواية.. حيث نجد الإخوة الثلاثة أسيل ومحمد وغيداء وقد أوشك فصل الشتاء على الانتهاء.. وتهل بشارات الربيع بجمال زهوره التى تملأ حديقة بيتهم.. نجدهم يستمتعون بالشمس والورود.. وركوب الأرجوحة والضحكات السعيدة من القلب.

ثم ها هو محمد يصيح فرحا: رأيت فراشة.. هيا لنمسك بها.. وهنا تنقسم الآراء حيث تقول أسيل: دعها يا محمد تطر ونستمتع نحن برؤيتها.

لكن محمدا يصرّ على رأيه.. فهو يحب صيد الفراشات.. ويحب أن يجمع منها عددا يتميز بالألوان الجميلة ويباهي بها زملاءه فى المدرسة.

أما غيداء فتوافق أخاها.. وتسرع بإحضار شبكة صيد الفراشات..

ولأن عالم الفراشات يجذب الجميع.. اقتنعت أسيل بالبقاء فى مكانها وقراءة كتاب عن الفراشات وألوانها وأنواعها.. لأنها لا تحب أن تشترك

معهما فى صيد الفراشات وخنقها بين صفحات الكتب أو تثبيتها فوق اللوحات.

وتبدأ مباراة صيد الفراشات..

ويمسك محمد بواحدة كانت تمتص رحيق زهرة وأدخلها زجاجة وذهب يجلس فى ظل شجرة يتأمل ألوانها الجميلة.

وعالم الفراشات عالم عجيب حقا.. فهو نتاج رحلة تبدأ بالدودة بجسدها المتماوج وأرجلها الدقيقة الحادة فوق فرع الشجرة.. وبعد أن تناول ورق الشجر الأخضر تتحول إلى يرقة ثم تدخل الشرنقة لتخفي نفسها عن الطيور والعصافير حتى يتضخم الجسم داخلها.. فيمزق هذا الغلاف الذى صنعته بلعابها اللزج.. فتفقس الشرنقة فراشة..

هذه باختصار دورة الفراشة التى يعرفها الأطفال.. وكثيرا ما نجد هواية مثل تربية دود القز.. تشرح عمليا هذه الرحلة العجيبة..

والكاتبة هنا تعي تماما هذه الرحلة.. لكنها لا تريد أن تحكيها هكذا وكأنها رحلة علمية جافة ليس بها أي خيال.. فهي الآن تكتب قصة للأطفال.

والأطفال تستهويهم هذه العوالم العجيبة.. لهذا لجأت الكاتبة إلى فكرة مبتكرة تجعل محمدا يحلم بأنه فراشة.. ذات ألوان جميلة..

والآن نرى محمدا يغفو تحت الشجرة ويحلم بكل تفاصيل هذه الرحلة ويقوم هو بدور البطل.. أي يحلم بأنه دودة.. وأنه كان على فرع شجرة..

وأنه أكل الورق الأخضر وكون حول نفسه الشرنقة.. ثم حينما تضخم جسده فى الشرنقة.. مزقها وخرج منها فراشة.

ويستمر الحلم ليقع فى مأزق كبير..

فقد سقط فى شبكة صيد الفراشات التى تمسكها أخته غيداء.. وها هى غيداء تمسك بالفراشة – أخيها – وتضعها فى زجاجة.. كما تفعل دائما حينما تصيد فراشة.

ويحاول محمد أن يصرخ لكي تسمعه أخته لكنه لم يستطع فيسقط مجهداً فى قاع الزجاجة.

وهنا يدرك محمد أنه هو الذى علم أخته الصغيرة فن صيد الفراشات والاحتفاظ بها فى الزجاجة.

وتسرع غيداء – كالعادة – إلى داخل البيت لتخبر أختها أسيل أنها صادت فراشة جميلة.

فتسألها أسيل: أين محمد..

فتجيب غيداء: لا أدرى.. ربما يتابع بعض الفراشات..

وتسألها أسيل: وماذا ستفعلين بهذه الفراشة.

أجابت غيداء: سأثبتها فوق الورق كما علمني محمد.

وتخرج غيداء الفراشة من الزجاجة وتحضر الدبابيس التى تثبتها فوق اللوحة.

وهنا يفيق محمد من كابوسه.. ويري الفراشة التى حبسها ما زالت فى الزجاجة.

تأمل محمد الفراشة فى الزجاجة فوجدها تحاول الخروج بلا جدوى فتذكر حلمه.. وأسرع بفتح الزجاجة فينطلق الفراشة حرة بين أشجار الحديقة.

ويقوم محمد وبيده الزجاجة فارغة لكنه كان يعاني الإجهاد من هذا الحلم الغريب.

ويدخل البيت وتسأله أختاه أين كان.. وهل أمسكت بفراشة؟

فأجاب: أمسكت بها ثم أطلقتها مرة أخرى تسبح فى النور بحرية..

تعجبت غيداء ولامته.. وسألته لماذا فعل ذلك؟

فقال: لأني عندما كنت فراشة تمنيت أن تطلقي سراحي يا غيداء.

تعجبت الأختان.. وأخذ محمد يحكي حلمه العجيب عليهما.

.....

بهذا تحمل القصة قيما كثيرة..

فهي أولاً.. تعرفنا على رحلة التحول من الدودة إلى الفراشة فى صورة حلم يراه محمد بل يكون هو نفسه الفراشة..

وهى ثانياً.. تبتعد بذلك الابتكار فى المعالجة عن المعلومة المألوفة والأسلوب السردي الذى نراه فى بعض الأعمال التى تفتقر إلى الخيال.

وهى ثالثاً.. تشبع نهم الطفل فى المعرفة لكنها معرفة محكية بأسلوب جميل مشبع بالخيال والمتعة.

وهى رابعاً.. تحفز الطفل على حب الطيور والفراشات وتدعوه إلى الاستمتاع بها فى طيرانها وتحليقها فى النور وعلى الأشجار بحرية وليس بصيدها وتثبيتها بالدبابيس فى لوحات.

وهى خامساً.. تجعل متعة الطفل إيجابية بالتأمل ومتابعة قدرة الله فى خلق الطير والفراشات.. وعليه أن يحمد الله ويشكره على نعمة التأمل والمشاهدة والاستمتاع.

وهى سادساً.. نؤكد أن الكاتبة – وهى مبدعة وروائية متميزة – استطاعت أن توظف خيالها توظيفا إيجابيا لتقول من خلاله شيئا مفيدا لأطفالنا.

وهى سابعاً.. فكرة مبتكرة غير مسبوقة وقد عالجتها الكاتبة ببساطة وسهولة ويسر..

وهى ثامناً.. قصة جمعت كل هذا فى أسلوب لغوي قريب إلى وجدان الطفل.. بلا غموض ولا صعوبة.

وهى تاسعاً.. قصة تستحق أن تترجم إلى لغات العالم لنؤكد معني الحرية والمتعة بلا إيذاء للغير حتى لو كانت فراشة.

وهى عاشراً.. تستحق التهنئة على تعريف الطفل بعالم الفراشات من خلال هذه المخاطرة الخيالية الممتعة.

إطلالة على عالم

سماح أبو بكر عزت

بقلم أحمد سويلم

نريد أن نبدأ بسؤال مهم:

ما الذى يميز كاتبًا عن آخر فى مجال الإبداع.. خاصة الكتابة للطفل؟.

- إننا ندرك تماما كم هى صعبة وحساسة ومهمة ممارسة الكتابة للطفل.. وندرك أن التميز فى هذا المجال يتطلب قدرة إبداعية متفردة.. ويحتم تكوينا نفسيًا محباً لهذا الكائن الصغير.. ومعرفة عمقه بسيكولوجية.. وحساسية خاصة فى التعامل معه.. كما يتطلب أيضاً تميزاً أسلوبيا يجعل الكاتب قادرا على حمل الفكرة والتعبير عنها دون غموض أو تبسيط مخل.. وأولاً وأخيراً يتطلب موهبة خاصة تسمو على الواقع التقليدي ..وتنشر الابتكار والتجديد والإضافة الواعية.

فماذا لدى مبدعتنا سماح أبو بكر عزت .. وما الذى دفعني إلى تقديم هذه الدراسة.

هناك عوامل كثيرة.. وسمات خاصة تتمتع بها هذه المبدعة.. إن سماح تنتمي إلى أسرة فنية قديرة.. ومن ثم فهي تحمل فى داخلها جينات الفن الأصيل تعبيراً وأداءً ولغة.

وهى أيضا تخصصت فى مجال الطفولة.. بل أكاد أجزم أنها وهبت نفسها وطاقتها الإبداعية لأطفالنا..

فهي تقدم برنامج (احكي يا ماما سماح) أسبوعيا على شاشة التليفزيون.. حيث تحكي لأطفالنا حكاية من تأليفها وتشرك الأطفال فى المتابعة والمناقشة.. وهنا ملمح مهم فى التعامل مع الطفل.. حيث جعلته صديقا وشريكا فى هذا البرنامج.

وهى أيضا كاتبة دائمة فى المجلات المصرية والعربية للأطفال.. وتتلقي آلاف الرسائل تعليقا على حكاياتها.. فأحبها الأطفال وصاروا أصدقاء لها..

ولها أعمال درامية للأطفال فازت بجوائز وتقديرات عربية وعالمية.. ولها حكايات مترجمة إلى لغات كثيرة.

ولها أكثر من أربعين عملا نشرتها كبرى دور النشر المصرية والعربية. كما أنها دعيت كثيراً خارج مصر – عربياً وعالمياً – لتجلس إلى الأطفال فى ورش حكي متعددة.. ونالت على ذلك شهرة وتقديرا وتكريما لم ينل أحد مثلها.

نحن إذن فى حضرة كاتبة مبدعة أخلصت لهذا المجال.. ولم تنشغل بغيره.. ولم تسعى إلى شهوة حضور الملتقيات أو البحث عن جوائز.

نحن مع كاتبة جعلت الكتابة للطفل اهتمامها الأساسي وقضيتها الأولي.. وأسهمت فى رسم ملامحها بقلمها النزيه المخلص فصار إبداعها متفرداً لا يتشابه مع أي إبداع آخر فى هذا المجال.

وبالرغم من أن سماح تقطن الإسماعيلية.. فقد استطاعت أن تكسر هذا الطوق.. وتثبت قدرتها على اختراق العقبات.. والعمل فى صمت بعيدًا عن الأضواء.. والوصول بإبداعها المتميز إلى دور النشر والأطفال فى كل مكان.

وسوف نلاحظ – فى قراءة أعمالها – أنها خبيرة بمشاكل الطفل فى سنوات عمره المتتالية.. ولهذا جاءت أعمالها من خلال هذه المشاكل.. وعرفتنا على حلول لها.. مدهشة.. غير تقليدية.. مبتكرة سهلة فى متناول أيدي أطفالنا.. وهذه ميزة مهمة فى أعمال سماح سوف نلقي الضوء عليها فى هذه الدراسة.

بقي أن نقول فى هذه المقدمة.. إنني حينما قرأت أعمال سماح ولاحظت هذا التميز وهذا الابتكار.. وهذا الاختلاف عن كثير من الكتابات.. وجدت من واجبي أن أبرز هذه السمات للكتاب والمهتمين بأدب الأطفال.. وكيف حرصت سماح على هذا التميز فى إبداع عمالها.

وسوف أقصر دراستي على عدد قليل من أعمالها الأربعين لأؤكد ما تتميز به هذه الأعمال.. ولنتعرف على خفايا هذا العالم الجميل.

*** قصة: الحائر بين السماء والأرض**

وهى قصة طريفة عن هذا الكائن الذى يجمع بين الحيوان والطير وهو الخفاش الذى ينتمي إلى الثدييات.. ويملك جناحين.. وهو كما نعلم حائر بين الحيوان والطير.. ويوصف بالحمق.. تلك هى المعلومة المتوارثة فى موسوعات الحيوان عن الخفاش.. وتُعزى إليه براءة اختراع الرادار.

فماذا فعلت سماح حينما تناولت هذا الكائن.. إنها جعلته حائراً بين السماء والأرض.. كما هو حائر بين الحيوان والطير..

لكن هذه الحيرة لم تقف عند حدود الدهشة وتَمثُّل قدرة الله فى خلقه.. والاكتفاء بذكر هذه الصفات العجيبة.

لكن الكاتبة دخلت إلى عمق هذا الشعور الممضّ بالحيرة.. وحكت قصة حول صراع الحيوان والطيور على سلطة الغابة.. ومن ثم اجتهد كلا الفريقين فى استقطاب أصوات الحيوان والطير إلى جانبه.. فمرة يفوز الأسد.. ومرة يفوز النسر وهكذا..

فماذا كان موقف الخفاش؟

لقد صورته الكاتبة بالمنافق والمرائي واللا منتمي.. والذى يقف دائما مع الفائز.. إذن أوضحت الكاتبة هذه السلبية المقيتة فى شخصية الخفاش.. فهو ليس له موقف.. لكنه قادر على إقناع الفائز بأنه ينتمي إلى جنسه.

فحين فاز الأسد لم يَقْبل الخفاشَ لأن له جناحين.. فأكد له الخفاش أنه حيوان لأن فى فمه أسنانا.. والطيور ليست لها أسنان.. فقبله الأسد.. وحينما فاز النسر لم يقبل الخفاش لأن له أسناناً مثل الحيوانات.. فأكد له الخفاش أن له جناحين يطير بهما مثله.. ويحلق فى الفضاء مثله.. فقبله النسر..

ونلاحظ أن الكاتبة تجعل الخفاش حينما يكون فى صف الحيوان يتمني أن يحلق بجناحيه.. وحينما يكون فى صف الطيور يتمني أن يكون فوق

الأرض مثل الحيوان.. أي أن حالة التذبذب والحيرة فى المواقف أصيلة فى داخله شأن المنافق والمرائي.. المهم لديه أن يكون مع الفائز.

هنا.. كان من الممكن أن تتوقف الكاتبة عند تصوير وترجمة حالة الحيرة المنعكسة فى سلبية النفاق والممالأة.. لكنها أبت أن تتوقف.. وأضافت ملمحا آخر أكثر ذكاء وطرافة.. فقد قرر الجمل – حكيم الغابة – أن يجتمع بالفريقين ليوقعا معاهدة سلام.

لقد نسبت الكاتبة الحكمة إلى الجمل وليس إلى الثعلب كما هو معتاد فى الحكايات.. وقد فطنت إلى هذا الحيوان الذى يختلف فى تكوينه الضخم عن كل الحيوانات.. ولأنه آكل عشب وليس آكل لحم حتى لا يتحيز إلى جانب دون آخر.. ولأن فى طبعه الصبر والتأني فى التفكير.. إذن فهو يمثل الحكمة الموضوعية.

ويفلح الجمل فى مهمته.. وتسعد الحيوانات والطيور وتتصالح وتكف عن الصراع.. لكن أين الخفاش من هذه المعاهدة.. إنها معاهدة بين فائزين.. فأين يكون موقعه..

لاحظ الجمل وقوف الخفاش منفردا فالتفت له وهو مدرك ما فعله فى حلقات الصراع السابقة.. فيعلن فى حسم: لا مكان لك بيننا أيها الخفاش.. فأنت طماع منافق ليس لك موقف.. ومكانك هو الظلام تعيش فيه حائرا بين السماء والأرض.

قلبت الكاتبة مفاهيم كثيرة متوارثة فى هذه القصة.. فالحيوانات مرة تفوز.. والطيور مرة تفوز.. مع أن العالمين لا يلتقيان عادة إلا نادرا.. ثم تلصق صفة النفاق والرياء والطمع إلى الخفاش فى ظل ما عرف عنه بجمعه بين الحيوان والطير.. ثم جعلت الجمل حكيما.. وليس الثعلب أو الدب مثلا.. وكأنها تريد أن تؤكد أن الحيوان هو الحيوان أليفا كان أم متوحشا.. والطيور كذلك.

وهذا الابتكار والتجديد فى نسيج ما استقر فى أذهاننا يؤكد الاختلاف والتفرد.. ويحدث التشويق والطرافة.. كما تبرز من خلال القصة قيم كثيرة ومعاني مختلفة تضيف إلى معرفة الصغير..

قصة: لؤلؤة فى السماء

وهى تعالج ظاهرة التنمر.. تلك الصفة البذيئة.. والمتنمر يملك الحقد والحسد والكراهية للآخرين الذين يتفوقون عليه.. والتنمر سلاح قد يكون خطراً على الشخصية المستسلمة الضعيفة.. لكنه لا يؤثر فى الشخصية القوية التى تتحدى كل حقد وكل كراهية.

كيف إذن قدمت القصة هذا المفهوم لأطفالنا.. لتحذرهم من خطر هذه الصفة البذيئة.

فكرت الكاتبة فى موضوع طريف متفرد كعادتها..

نحن هنا فى أحد فصول المدرسة.. نتعرف على تلميذة رقيقة مهذبة متفوقة.. تسمى "سماء" تمارس عدداً من الأنشطة والهوايات ونجمة فى

الإذاعة المدرسية.. لكنها حساسة جدا لأي أمر يمس مشاعرها فتحزن وتبكي دموعاً غزيرة.

وفى مجتمع صغير كهذا المجتمع تختلف الشخصيات.. ونعرف أن أربعا من زميلات سماء يحقدون عليها ويسخرون منها.. ويُسئن إليها قولاً وفعلاً.. ومن ذلك جملة أغضبتها وأبكتها كثيراً وهى: تمطر السماء فى الشتاء.. وسماء صفنا الدراسي ممطرة صيفا وشتاء..

لقد ألصقن هذه الجملة على ظهر سماء وجذبن جدائلها وهى جالسة.. مما جعل سماء تبكى ولا تتابع درس المعلمة التى عنفتها على عدم متابعتها للدرس.

لم تعرف سماء أن على ظهرها شيئا معلقا.. وظلت مثار سخرية الزميلات والناس فى الشارع أثناء عودتها إلى البيت..

وحين عرفت ذلك ظلت تبكي ولا تتناول طعامها.. وحبست نفسها فى غرفتها وحيدة.

لكنها حينما خلت إلى نفسها.. تذكرت جملة جدتها (البادئ أظلم) فقررت المواجهة وعدم الاستسلام.

لكن زميلاتها أمعنّ فى إيذائها والسخرية منها.. فوضعن قطعا من الحجارة فى حقيبتها.. وألقت إحداهن فى وجهها كيسا من الرمل جعلها تذهب إلى طبيب العيون لإصابتها بحساسية شديدة لزمت على إثرها البيت ثلاثة أيام.

وكان من الممكن أن تلجأ الكاتبة إلى نهاية تقليدية مثل الشكوى إلى المعلمة أو مديرة المدرسة.. ومعاقبة زميلاتها.. وهى نهاية منطقية جدا.

لكن الكاتبة كعادتها بحثت عن نهاية مبتكرة غير تقليدية..

افترضت الكاتبة احتفالاً بعيد ميلاد سماء.. وتتلقي سماء فى هذا الاحتفال هدايا كثيرة أهمها هدية جدتها (عقد من اللؤلؤ) مصحوبا برسالة رقيقة شعرية تعرفنا على المحارة التى تتعرض للأذى فتشعر بالألم وتبكي فيكون اللؤلؤ..

ثم تنهى الجدة رسالتها بقولها: دمت سمائي المشرقة صيف شتاء.

ولم تكتفِ الكاتبة بذلك بل ذكرت إقامة معرض للمشغولات اليدوية فى المدرسة تخصص حصيلته لصالح الأطفال المرضي بالسرطان.

وتشارك سماء بقطع الحجارة التى وضعتها زميلاتها فى حقيبتها حيث صنعت منها دمىً على أشكال الطيور والحيوانات.. كما لونت حبات الرمل ووضعتها فى زجاجات.. ونالت معروضات سماء التقدير.. وهنا تحدثت سماء وذكرت للجميع ما فعلته زميلاتها.. وكيف استخدمت الحجارة والرمال فى هذه المسابقة.

وفى نهاية كلمتها أطلقت سماء دعوة تبنتها المدرسة: (لا للتنمر واجه بشجاعة كل متنمر) ومن اليوم أنا سماء المشرقة صيف شتاء.

الأمر هنا يستحق التوقف والتحليل..

فالكاتبة تنحي جانبا الأفكار التقليدية السائدة فى كثير من الحكايات الشعبية المتوارثة.. وإذا تعرضت لها سرعان ما تبدلها وتضيف رؤيتها الخاصة الابتكارية برؤية إبداعية متميزة.

إن فكرة التنمر تكاد تكون حديثة.. لكن معالجتها على هذا النحو جاءت بأسلوب مبتكر سهل بسيط مستمد من عالم الطفل نفسه.. فالساحة مدرسة.. والعلاقة مع الزميلات.. وسماء موضع حقد وسخرية لأنها متفوقة.. ومن ثم فالتنمر هنا مبرر.. لكن الكاتبة هنا لا تكتفي بالحلول التقليدية كالشكوى إلى المعلمة.. وإنما أظهرت أولا تأثير التنمر على سماء المتفوقة علمياً وأخلاقياً.. ثم جعلتها تفكر وتستعيد حديث جدتها ونصيحتها.. ثم يدعم ذلك هدية الجدة.. ثم من محيط المدرسة ومعرض المشغولات تشارك سماء بالأحجار والرمال وتنال التقدير.. وهنا فقط صارت فى موقع القوة والتفوق.. فلابد إذن من المواجهة والتحدي.. لقد أحالت القبح إلى جمال.. والضعف إلى قوة.. وصارت لا تستجيب للسخرية والكراهية.. فتتراجع زميلاتها ويخجلن من تصرفاتهن.

مجموعة من القيم.. والحلول غير التقليدية تتوالي عبر القصة من بدايتها إلى نهايتها لا يفلت من الكاتبة خيط الدراما.. وتتابع المواقف والأحداث وطرافة النهاية.. وشاعرية السرد.. وفى النهاية تصير بطلة القصة: لؤلؤة فى السماء.

وهذه قصة ثالثة تحمل الفكاهة وخفة الظل هى قصة: القط الذى صار فأرا

العنوان غريب مراوغ... يجعلنا فى دهشة.. فالقط هو الذى صار فأرا وليس الفأر الذى صار قطا.. فما هى الحكاية..

بدأت الكاتبة القصة هكذا: أنا الفأر الذى وقَعْتُ فى قبضة الأسد ذات يوم.. وحين توسلت إليه أن يتركني لأنه قد يحتاج يوما لمساعدتي.. ضحك الأسد ساخرا منى ثم أشفق على وتركني حرا.

لكن الفأر لم يذهب بعيدًا بل حافظ على صداقته مع الأسد بالرغم من الاختلاف الكبير بينهما.

وهنا تعيد الكاتبة كتابة القصة المعروفة من جديد.. فلم ننتظر – كما فى القصة – أن يُصاد الأسد.. ويأتي الفأر ليقرض شبكة الصياد.. لكنها كعادتها تبتكر مواقف أخرى أكثر إيجابية..

فالفأر يصادق الأسد.. وبحكم هذه الصداقة يجلس الفأر ليحكي للأسد مغامراته المدهشة.. ولنا أن نتخيل هنا دهشة الأسد حينما يحكي الفأر مغامرات بعيدة عن التوقع مثل كيف يدخل الفأر فى القارورة الضيقة ذيله وهى مملوءة بالدهن.. فكلما ابتل الذيل بالدهن أخرجه وامتصه.. وكيف يراوغ الفأر القط ويختفي منه.. وهكذا يضحك الأسد ويندهش.. بل نجده أيضاً – وهذا من ابتكار الكاتبة – يلتهم الكتب بعيونه يتأمل الصور ويقرأ

ويحفظ القصص ثم يحكيها للأسد ولا يلجأ إلى قرض ورق الكتب بأسنانه الحادة مثل بقية جنسه.

وهنا تجدها المؤلفة فرصة ذهبية لذكر فوائد القراءة على لسان الفأر.. فقد سافر عبر الكتب إلى كل مكان وزمان.. وأفاد معرفة بالجغرافيا والتاريخ.. وحصد معلومات فى كثير من المجالات..

ومن ثم أحبه الأسد.. وقدر ثقافته.. بل اتخذه مستشاره الخاص حينما تواجهه مشكلة.. وهذه فائدة مضافة أخرى للقراءة القدرة على حل المشاكل واتخاذ القرار الصائب.

ثم تعود الكاتبة إلى عالم الحيوان فى الحكايات الشعبية.. فقد شعر النمر وزير الأسد بالغيرة من الفأر المقرب إلى سيده.. كيف لهذا المخلوق التافه الضعيف أن يستأثر بمحبة الأسد.. ويحظي بتقديره ومنحه مستشاره الخاص.

وتقول موسوعات الحيوان إن النمر أخبث من الأسد ومن كُنياته: أبو جهل وأبو خطاف.. ومزاجه كمزاج السبع وهو ذو قوة وقهر.. وهو أعدى عدو للحيوانات.. وهو معجب بنفسه.. ومنزلته بين السباع بعد الأسد فى الرتبة.. وربما يعادي الأسد نفسه.

هذا موجز لملامح شخصية النمر.. ولعل الكاتبة كانت على وعي بتلك الصفات فجعلت النمر وزيراً للأسد.. حتى يكف عن عداوته.. ثم ها هو فى

هذه القصة قد أحس أن منصبه يتعرض للخطر من حيوان ضعيف يمكن أن يسحقه بقدمه..

ماذا يفعل؟

إدعى النمر أن الفأر – الذى يملك المنطق والبلاغة والحيلة – يُفشي أسرار الأسد إلى أسد آخر يحكم غابة مجاورة.

بالطبع يصدق الأسد وزيره النمر.. ويتوعد الفأر بالانتقام.. ويعلم الفأر بما عزم عليه الأسد فأسف لهذه التهمة الكاذبة وهذه الصداقة الذى ظن أنها قوية كالجبل.. عميقة كالبحر.. صافية كما النهر.. فقرر الهرب والاختفاء.

وبتحريض من النمر.. يعلن الأسد عن مكافأة للقط الذى يأتي بالفأر حيا إلى الأسد.

وهنا أيضاً معلومة مهمة فالقط أعدي أعداء الفأر.. ولابد أنه سيجتهد فى مهمته للحصول على المكافأة.

وبالفعل نجح القط فى تسليم الفأر حيا للأسد الذى أمر بحبسه فى قفص حديدي ووعد الأسدُ القط بالجائزة وهى وجبة شهية من لحم الفأر الخائن.

طبعا أصاب القط الغرور وظن أنه حيوان شجاع.. فوقف أمام قفص الفأر مختالا يصيح: أنا القط النمر الجبار..

ابتسم الفأر.. وبدأ يستخدم ذكاءه لكي يوقع القط فى الخطر وينتقم منه.

وهذا يوضح لنا علاقات الحيوان التى تحكمها القوة والذكاء معا.

أخبر الفأر غريمه القط أنه قرأ عن تنين جبار له أجنحة يطير بها وينفث من فمه النار.. وهو بهذا أقوى منه.

تملك الغيظُ القط.. وانطلق فى الغابة مدعيا أنه التنين الجبار الذى ينفث النار.. فلم ينتبه إليه أي حيوان وكان موضع سخرية.

ويعود القط أمام القفص وهو يشعر بالعجز.. فيخبره الفأر أنه قرأ يوما أن الريح أقوى من السحاب.. فينطلق القط معلنا أنه أشبه بالريح فى سرعتها وقوتها.

ويسخر الفأر منه مرة ثالثة ويقنعه أن السحاب أقوى من النار لأنه يطفئها بالمطر.. فيعلن القط أنه سحاب.

ثم يقنع الفأر القط أن الفأر يمكنه أن يثقب الجدار ويقتحم منزل اللصوص والأشرار.

وهنا يعلن القط وبلا تفكير أنه القط أقوى من النمر ومن التنين ومن الريح ومن السحاب.

وهنا تغلق الكاتبة القوس النهائية على حكايتها لتؤكد حماقة القط وذكاء الفأر المثقف.. ومن ثم ندم الأسد على ما فعله مع الفأر وأعاده إلى مكانته من نفسه.

هكذا أعادت الكاتبة رواية القصة بأحداث مبتكرة تماماً .. مملوءة بالقيم السلبية والإيجابية .. دون أن تذكرها مباشرة .. معظّمةً قيمة القراءة والذكاء .. فى دراما شائقة جذابة طريفة .. ونهاية منطقية مفاجئة تظللها حماقة القط الجاهل .. فى مقابل ذكاء الفأر.

أما القصة الرابعة فهي: الدائرة الحائرة

هذه القصة تقدم رؤية شعرية طريفة جمعت أطراف هذه الحكاية.

فالشمس تمثل (الدائرة الذهبية فى النهار)..

والقمر يمثل (الدائرة الفضية فى الليل)..

وابتداء.. هاتان الصورتان تضعنا أمام معالجة فنية لما سوف تعرضه القصة.. فلم تذكر الكاتبة مثلا أن الشمس كوكب ملتهب شديد الحرارة.. وأن القمر مرآة لهذه الشمس يطل على الكون بما يعكسه من ضوء الشمس.. فتلك معلومات متوارثة لا تحتاج إلى تأكيد..

ومن ثم وضعت الكاتبة لكل من الكوكبين دائرة خاصة به.. ثم قسمت الطيور إلى فريقين: الأول يستمتع بالشمس نهارا.. والآخر يستمتع بالقمر ليلاً..

ولم تكتفِ الكاتبة بذلك.. بل أشعلت بينهما صراعا متخيلا عناصره نور النهار وظلام الليل.. وكذا حرارة النار وبرودة الثلج..

ولهذا وجدنا الطيور التى تحب الشمس تغضب وتحس بالأسى فى الليل.. لغياب الدائرة الذهبية.. ووجدنا الطيور التى تحب القمر تغضب وتحس بالأسى فى النهار لغياب الدائرة الفضية.. ويمثل الديك طيور الشمس.. والبومة طيور القمر..

ويبدأ بينهما الصراع والجدل حول أهمية كل منهما.. حتى جاء الكلب ويمثل الحكيم فى القصة.. ليؤكد لهما أن كلا منهما على صواب ولا يوجد خلاف يستحق هذا الصراع الوهمي.

لم يقتنع الديك ولم تقتنع البومة برأي الكلب.. وظلا فى تشاجر وتناحر ونعيق وصياح.. بل انضم لكل منهما طيور أخرى.. فصارا فريقين يقتتلان ويتشاجران على الدائرتين.

وبالطبع يجتهد الديك والبومة.. فى تقديم الأدلة على أن دائرته هى الأفضل..

وتتشاك خيوط الدراما.. وكعادة الكاتبة تبحث عن نهاية طريفة غير متوقعة.

جعلت القمر يغضب على الطيور المناصرة له.. وكذلك فعلت الشمس والسماء وقوى الطبيعة.. وكأنها أرادت أن تؤكد أن هذا الصراع لا يجدي فى شئ.. فالدائرتان تحدثان توازنا فى هذا الكون ولا غني لأحدهما عن الأخرى.

أظلم الكون لاختفاء القمر غاضبا.. واشتدت الرياح والعواصف لغضب السماء والشمس.. وتناثرت أعشاش الطيور فى كل مكان.. والديك ما زال

يصيح.. والبومة مازالت تنعق والكلب مازال ينبح عليهما ويحاول إصلاح الأمر بلا فائدة.

وبسبب غياب القمر والشمس ساد الظلام ولم تسقط المطر فجفت النباتات وذبلت الزهور.. واختلطت زقزقات العصافير بنعيق الضفادع.. وهاجمت الطيور بعضها البعض فى شراسة وانتهي الأمر باختفاء الدائرتين الذهبية والفضية نتيجة هذا الصراع الغريب.. وعدم الاستماع لنصيحة الكلب..

ثم تحل الكاتبة المشكلة حلا شاعريا..

ساد صمت رهيب وتناثر ريش الديك الأسود.. وريش البومة الأبيض هنا وهناك.

ولم يبق سوى ريشتين واحدة سوداء والأخرى بيضاء.. اقتربتا.. وتعانقا وطارتا معا لتصنعا قلادة تزين عنق السماء الرحبة التى تمنح الخير لكل الكائنات تسكنها الشمس الذهبية نهارا.. والقمر الفضي ليلا..

ثم تكمل الكاتبة الصورة الشعرية بطرافة وجمال حين تقول: كلما صاح الديك فى الصباح ونعقت البومة فى المساء تساقطت دمعة من السماء تتقاسمها الريشة البيضاء والريشة السوداء.. وكأنها تضع إطارا جميلا للوحة.

وكما نلاحظ فإن الفكرة مبتكرة والمعالجة تحمل كثيرا من المعاني والدلالات التى تحث على التفكير السليم ونبذ الصراع الفارغ الذى لا

يجدي.. والاستماع لصوت العقل بالكف عن الخلاف.. فكلا الطرفين فعلا على صواب ولا حياة بدون الدائرتين.

وفى ظني أن لغة الكاتبة هنا تتسم بالشعرية الجميلة التى خففت من عمق الفكرة ورمزيتها.. وجعلتها تخاطب وجدان الطفل وهذا هو الجديد فى هذه القصة.. ولا يجوز لنا أن نفترض غباء هذا المتلقي الذى يعيش ليل نهار فى عالم افتراضي من الخيال والمتعة.

وهذه قصة بعنوان: حمادة صاحب السعادة

وهى تجيب عن سؤال مهم هو: كيف يصنع الإنسان لنفسه السعادة.. وكيف يحيل الحزن إلى فرح.. وكيف يعلو بتفكيره على المعاناة واليأس..

بطل هذه القصة هو حمادة.. الفتي الذى يبيع الجرائد كل صباح.. إنه يصحو مبكراً مع زقزقة العصافير.. ويبدأ فى قراءة الجرائد قبل أن يقرأها الكبار والصغار فى البيوت والمقاهي.. ويعود حمادة آخر النهار لأمه برزق وفير.

وحينما اشتعلت الحرب.. تبدلت أحوال البلاد.. وصارت الجرائد تُسوَّد بأخبار الدمار والمآسي الإنسانية.. فانصرف كثير من الناس عن قراءة الجرائد.

ماذا تري يفعل حمادة.. هل يبحث عن عمل آخر.. لكن أين هذا العمل فى ظل الحرب والدمار.. ومن هذا الذى يرحب بطفل فى عمل..

جلس حمادة يفكر ويتأمل الجرائد المملوءة بالمآسي.. خاصة وجوه الأطفال الباكية.. وتخيل نفسه أحد هؤلاء الأطفال.. لكن ما ذنبهم فى هذه الجرائم التى يرتكبها الكبار والساسة.. لاحت له فكرة..

دس يده فى جيبه فوجد قروشا قليلة.. فأسرع إلى المكتبة واشتري بهذه القروش مقصاً وعلبة ألوان.. وخيوطاً ملونة.. وجلس إلى ظل شجرة ومعه جرائده.

بمهارة شديدة مدهشة.. قص حمادة صفحة يُسوّدها الدمار وصنع منها طائرة ورقية.. وقدمها لطفل تحاصره النيران يبكي على إحدى صفحات الجريدة.. فتخيل الطفل يبتسم ويكف عن البكاء ويقفز من الصورة الملتهبة ويلهو بطائرته الورقية ويحلق بها فى السماء وحوله العصافير تغرد بنشيد النصر.

يا للخيال الجميل الذى يغذي الإحساس ويبدل الحزن فرحاً وسعادة.. ثم ها هو يشاهد صورة فتاة تبكي أمام بيتها الذى أصابه الدمار.. فطوي صفحة أخرى وصنع قبعة ولونها بألوان زاهية ووضعها فوق رأس الفتاة الباكية.. وتخيلها تبتسم وتستجيب لها السماء فترسم لها قوس قزح..

على صفحة أخرى كانت صورة طفل وحيد يرتجف تحت المطر.. صنع له حمادة مظلة جميلة ووضعها فوق رأسه.. فعاد الدفء إلى قلب الطفل..

إلى هنا والخيال يلعب دوره فى تحقيق السعادة.. فلماذا لا يحيل حمادة هذا الخيال إلى حقيقة..

جمع حمادة أصدقاءه فى الحي.. وصنع لهم طائرات ورقية ملونة ومراكب تسبح فى البحيرة الصغيرة.. وقبعات على أشكال طيور وحيوانات.. ومظلات مزركشة جميلة.

وكل صباح ينتظر الأصدقاء صديقهم حمادة ليرسم الفرح على ملامحهم ويغنون (جاء حمادة.. صانع السعادة).

وفى رأيي أن الكاتبة هنا وفقت تماما فى معالجة الفكرة التى ترفض الحزن واليأس والاستسلام للدمار والشقاء.

والمهم هنا أيضا أن حمادة يستخدم المادة نفسها التى تصيبنا بالحزن.. ويحيلها إلى مزحة وسعادة.. وهى الجرائد التى لم يعد يقرأها أحد والتى سُودت صفحاتها بالدمار والكآبة والأسى.

هى إذن قصة تتميز بالذكاء وحسن التفكير وتؤكد إرادة الإنسان فى صنع السعادة إذا هو فكر قليلا فى إسعاد نفسه وإسعاد الآخرين.. إنه الخيط الرفيع بين الفرح والحزن.. بين التفاؤل والتشاؤم بين السعادة والشقاء.. عبرت عنه سماح فى قصة بسيطة بطلها طفل يقدم نموذجاً وقدوة لأصدقائه الأطفال برفض الحزن واليأس.

وأخيراً وليس آخرا تصدر الكاتبة كتابها المهم: قنال لا تعرف المحال.. وهى تجربة عاشتها سماح لقربها من حادثة سفينة إيفرجيفن التى جنحت فى قناة السويس وشغلت العالم أسبوعا مرهقاً.

وسماح فى هذه القصة – التى نشرتها هيئة الكتاب وفازت فى معرض الكتاب بأفضل قصة للأطفال - ابتعدت تماما عن السرد العادي.. ولجأت إلى إطار درامي بسيط فى داخله بطل صغير يسمى (منصور ماهر منير).. وحينما نتأمل هذا الاسم فنحن أمام تفسير جميل:

فمنصور: من النصر والفوز معا.

وماهر: من المهارة والقدرة على العمل وحل المشاكل.

ومنير: من النور الذى لا ينطفئ.

وفى ظني أن هذا الاسم لم يجئ عشوائيا بدليل فاعليته فى ثنايا القصة.

ومنصور يعيش فى السويس مع أسرته.

والسويس مدينة عانت من الحروب لكنها ظلت باقية صامدة بفضل أبنائها الشرفاء الشجعان.

أما والد منصور (ماهر) فهو قبطان ماهر يرشد السفن القادمة من الجنوب عبر قناة السويس حتى يصل إلى حافة البحر المتوسط شمالا.. وهى مهارة فائقة شهد بها الأجانب خاصة حينما تخلي المرشدون الأجانب

فى عام 1956 فى حادثة التأميم.. وأثبت المصريون قدرتهم على الإرشاد والعمل الدقيق.

أما جده (منير) فهو قبطان قدير.. له تاريخ طويل مع القناة وهذه الأسرة المنتمية إلى القناة أبا عن جد هى شخصيات هذه القصة.

إن أجمل صوت يحبه الجد وينتظره كل يوم هو صوت نفير السفن بل يعلم الجد حفيده أن هناك عملاً مقدسا يحدث كلما مرت سفينة حيث يرتدى الجد كاب القبطان الأبيض ويرفع يده بالتحية فى حماس.

ثم تركز سماح على حادثة السفينة الجانحة لكننا نلاحظ بين الحين والآخر تناثر التاريخ والذكريات هنا وهناك حتى لا يصاب القارئ بحشد المعلومات فيمل وينصرف عن القراءة.

وعبر مواقف وحكايات.. يركز الأب المشارك فى عملية التعويم على كيفية تعويم السفينة.. وقدرة المصريين على هذا العمل الخارق..

لقد كان هذا العمل الوحيد الذى تناول هذه الحادثة وتقديمها لأطفالنا.

وكانت الكاتبة حريصة على البعد عن الثرثرة والسرد المباشر وربط عناصر العمل دراميا.. بأسلوب سلس بسيط شاعري جميل.

وبعد..

ففي جَعبتي الكثير الكثير من عالم سماح أبو بكر الرحب المتنوع الذى يسوده الابتكار والبعد عن التقليدية.. وطرح أفكار جديدة عصرية لطفل اليوم..

إنها فى قصصها تحترم عقلية الصغير.. وتتعامل معه على أنه كائن صغير السن.. أو رجل صغير السن.. فيه من الذكاء والفطرة ما يجعله يستوعب أي فكرة جديدة وربما ساعدها على ذلك المعايشة الدائمة مع الأطفال والتعرف على سيكولوجيتهم والاستفادة من كل معطيات العصر والعلم..

ولعلني بهذا قد ألقيت الضوء على بعض من أعمال سماح الإبداعية.. ووفيت بوعدي أن يتعرف عليها القارئ لأنها تنهج نهجا مختلفا عن السائد فى ساحة الطفولة.

قراءة في قصص

(شعر بسبوسة).. (باقة ورد.. وأنسنة الأشياء) لهويدا زكريا

الأصدقاء الأوفياء.. وحيلة "تالا" لإيهاب القسطاوى..!!

بقلم: عبده الزرّاع

"شعر بسبوسة" قصتان للأطفال صدرتا في كتاب عن المركز القومي لثقافة الطفل، للكاتبة أمل رفعت ورسوم: هشام السعيد، القصة الأولى تحمل عنوان الكتاب (شعر بسبوسة) وتدور أحداث هذه القصة حول الطفلة التي تفهم تصرف الجرو الذي يلعب معها بشكل خاطئ فتحزن منه وتغضب، لكن حين تفهم تصلح الخطأ وتعود المياه والصداقة مرة أخرى بينها وبين الجرو الصغير.

فقد لاحظت "توتة" غياب الجرو الصغير "توتو" فلم يأت ليلعب معها تحت شجرة الموز كما كان تعودت كل يوم، وبعد أن طال انتظارها خرجت تبحث عنه في الحديقة المجاورة لمنزلها، فوجدته يلعب هو وأمه الكلبة الكبيرة مع أصدقاء جدد، فنادت عليه فتوجه إليها بضع خطوات ثم نظر إليها بحزن، ثم عاد ليلعب مع أصدقائه الجدد.. حزنت "توتة" التى لم تفهم تصرف الجرو الصغير "توتو"، ذهبت لأمها وحكت لها ما حدث، فقالت لها أمها لكل شئ سبب فجميع الحيوانات تحب أصدقائها.

لما وجدت الأم أن الصغيرة "توتة" لم تفهم تصرف الجرو الصغير "توتو" أرادت أن تهدأ من روعها وعرفتها أن لكل شئ سبب، وأن الحيوانات ترتبط

بأصدقائها فهى تشعر وتحس بمن يحبها، وهى دعوة كي تبحث "توتة" عما ارتكبته في حق هذا الجرو، ومن ثم جاء اعترافها بأنه عنفته وضربته على رأسه حينما كانت تلعب بعروستها معه، وإذا به يجذب شعر عروستها "بسبوسة" ويقطعه مما أغضب "توتة" كثيرا.. وقامت وأحضرت عروستها لتريها إلى أمها:

انظري! انظري يا أمي ماذا فعل توتو بشعر بسبوسة؛ جعلها صلعاء من غير شعر.

نظرت لها الأم بحنان قائلة: حبيبتي إنه صغير لا يعي، ولا يقصد، أن يضرك أو يؤذي بسبوسة، فقد أراد أن يلعب بطريقته الطفولية، وتعامل معك كما يلعب مع أقرانه الصغار من الجرار أو مع أمه، ألا تلتمسين له العذر، يجب أن تترفقي به فهو حيوان صغير ومازال ضعيفا، كما أنه لا يستطيع الكلام كي يشرح لك؛ بل يحتاج منك الحماية والحنان.

ومن ثم، فإن الدور الذي قامت به الأم دور إيجابي في توضيح سلوك الجرو الصغير "توتو" نحو "توتة" وابتعاده عنها، واعطائها الفرصة للتفكير في حل لمشكلتها، وهي دعوة للاعتماد على النفس في التفكير في حلول لما يقابلنا من مشكلات حياتية، لذا فكرت "توتة" في الحل.

ومن ثم بدأت "توتة" تبحث عن حل لمشكلتها، فسألت أمها قائلة: وكيف أسترد صداقته الآن يا أمي؟

اقترحت الأم عليها أن تتنازل عن قطعة الدجاج الخاصة بها وتذهب وتقدمها للجرو الصغير كنوع من التقرب إليه مرة أخرى.. وبالفعل حينما ذهبت إليه وملست عليه في حنان استجاب لها وجلس معها تحت شجرة الموز يتناول قطعة الدجاج، ويلعب معها في مرح وسعادة.. وصالحت الأم "توتة" في نهاية القصة بأن اشترت لها عروسة جديدة.

أرادت المؤلفة أن تقول: ألا نتسرع في الغضب، وأن نفكر قليلا قبل أن نتصرف ونحن في حالة غضب، ف"توتة" غضبت من تصرف "توتو" وقست عليه واعتدت عليه بالضرب، وهذا سلوك عدواني وعنيف، وكان رد فعل الجرو أن ابتعد عنها وخاف من قسوتها..

ولكن "توتة" اعترفت بالخطأ وسعت لتصحيحه، وهذه رسالة إيجابية ترسخ لمعنى الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه، وهذا لا يقلل من قيمة الإنسان بقدر ما يرفع من شأنه.

كما يجب أن يكون لدينا رأفة ورحمة بالحيوان فهو يشعر ويحس ويفرح ويتألم مثل الإنسان، وكما يقول الحديث الشريف: "فقد دخلت إمرأة النار في هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض".. فديننا الحنيف هو دين الرحمة والمودة..

جاءت لغة القصة بسيطة ودالة على الحدث وموظفة بعناية لخدمة المضمون، ومقتصدة ليس بها ترهل يضر بالقصة.

أما القصة الثانية (مدينة الملاهي) وهى قصة قصيرة جدا لا تتعدى صفحة ونصف من صفحات الكتاب، عبارة عن حلم حلمت به الطفلة ليلى أنها شاهدت افتتاح مدينة الملاهى العملاقة، وتساءلت من سيدخل الملاهى وجميع أهل القرية فقراء، ودخلت إلى الملاهى واستمتعت بالمهرج، وركبت الأرجوحة الدائرية المكونة من عدة عربات، وغيرها من الألعاب، وأثناء ذهابها لتناول الآيس كريم شعرت بيد تحنو عليها وصوت يناديها: ليلى ليلى استيقظى حبيبتي حان موعد المدرسة.

وحكت ليلى الحلم لأمها، وحكت الأم لزوجها والذى بدوره حكى لرجال القرية، ومن ثم فكر الجميع في اسعاد ليلى وأطفال القرية الفقيرة..

ومن ثم تفتقت في أذهان أهل القرية فكرة التكافل وكيفية اسعاد ليلى وأطفال القرية، وتحقيق الحلم في وجود ملاهي يلعب فيها الأطفال وتكون مصدرا لسعادتهم، فتبرع النجار بالخشب وصنع أرجوحه دائرية مكونة من عدة عربات، وعدة أرجوحات مشدودة بالحبال، ووضعوا ما صنعه أهل القرية في أرض مهجورة بعدما أن نظفوها وزرعوا بها الحشائش والزهور الجميلة، وصنعت نساء القرية حلوى لذيذة، ودعا شيخ القرية الأطفال جميعا يوم الافتتاح... وتحقق حلم ليلى في أن يكون في قريتهم ملاهي جميلة.

فكرة القصة رائعة لأنها قائمة على فكرة التكافل والتي انتهت من حياتنا، وكان هذا التكافل موجود في الريف المصري قديما وكانوا أهالي القرى

يتكافلون في أفراحهم وأتراحهم، ولازالت موجودة بنسبة بسيطة في الريف المصري، ولكنها بدأت في الاختفاء خاصة في المدينة..

كما تقول القصة أيضا أن الحلم من الممكن أن يتحقق لو وجد الاهتمام اللائق به، وأن معظم الاختراعات والمشاريع الإنسانية الكبرى كانت محض خيال، ثم أسعدت البشرية بعد ذلك بعدما تحققت في صورة اختراعات حديثة أفادت البشرية ويسرت على الناس.

دخلت المؤلفة إلى القصة من أول سطر فيها دونما مقدمات ولا حشو غير مفيد، وهذه سمة جيدة من سمات كتابة القصة للأطفال، أن تركز على فكرة واحدة يصل بها الكاتب إلى النهاية.

باقة ورد.. وأنسنة الأشياء

"باقة ورد" مجموعة قصصية للأطفال، للكاتبة هويدا زكريا، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وهى تحتوى على سبع قصص على النحو التالى: "باقة ورد/ الكتاب الأول/ صداقة الكلمات/ أنا وقلمى/ خيوط الشمس/ عمو سعيد.. الأصابع المتشابكة/ لوحة الشطرنج" كتبت كما هو مدون على غلاف الكتاب لأطفال المرحلة من 8- 12 سنة وهم أطفال المرحلة المتأخرة، برسوم الفنانة سحر محمود.

فكما هو شائع لدي علماء علم النفس أن مراحل الطفولة المختلفة تنقسم إلى مرحلة: مرحلة الطفولة المبكرة (3 - 6 سنوات) ومرحلة الطفولة المتوسطة (6 - 8 سنوات) ومرحلة الطفولة المتأخرة (8 – 12 سنة) وأخيرا مرحلة المثالية أو الرومانسية (12 – نهاية مرحلة الطفولة أو إلي 18 سنة).

ولكننى أرى أنه ليست كل قصص المجموعة موجهة بدقة إلى أطفال هذه المرحلة، وسوف نوضح ذلك فى معرض الحديث عن القصص.

وقد لمست من قراءتى لهذه المجموعة عدة ملامح أساسية فيها معظم قصص المجموعة، وتتمثل فى الآتى:

أنسنة الأشياء:

وهذه طريقة فى الكتابة تكون قريبة من عقل ووجدان الطفل، ومحببة إليه، وتجعله يرتبط أكثر بهذه الأشياء.

ففى قصة الكتاب الأول، تتحاور النقطة التى فوق حرف الضاد مع الطفل كريم، الذى لديه ولع بالقراءة، ويريد أن يكون مثقفا، فتركه والده كى يتعرف بنفسه على الكتاب الأول الذى يبدأ به، بعدما نصحه بأن يتعرف أولا على الكتب التى تحمل أبجديات الثقافة وأبجديات المعرفة، فسأل كريم الأب: وما هى الكتب التى تحوى هذه الأبجديات، وقبل أن يجيب الأب، سمع صوت بكاء صوتا يأتى من داخل المكتبة، وبينما هو يبحث عن صاحب الصوت، فسقطت قطرة ساخنة فوق يده، ففزع ورفع رأسه ليعرف مصدرها، فوجدها تسيل من فوق الغلاف الأصفر الباهت، وعنوانه "لغة حرف الضاد"، ودار بينهما هذا الحوار:

فسألها: من أنت؟

أجابت أنا النقطة التى فوق الضاد.. إلخ هذا الحوار، فقد حولت المؤلفة النقطة وكأنها انسان يتحاور مع إنسان.

وفى قصة "صداقة الحروف" أيضا لجأت الكاتبة إلى أنسنة "حروف الأبجدية" حينما راح أيمن يكتب على الصفحة البيضاء فتطايرت الحروف من فوق السطر تداعبه وتفلت منه كلما أراد الامساك بها.. ولم تعد هذه الحروف مرة أخرى للورقة إلا بعد أن أحب الحروف وعرف قيمتها، ففتح أيمن كفيه فعادت الحروف الطائشة ونامت بين يديه..

وكذلك فى قصة "أنا وقلمى" والحوار الذى دار بين حسام والقلم الرصاص الذى راح ينصحه وكأنه صديقه أو والده، وقد نجحت الكاتبة فى أن تأتى النصيحة على لسان القلم الذى يحبه الطفل فيتقبلها، لأنه لا يتقبل النصيحة من أبيه وأمه.

ومضت الكاتبة أيضا على نفس هذا المنوال فى قصة "قطعة الشطرنج"، بأن حدث حوار بين الطفل بطل القصة وبين الحصان والطابية، والملك، وهذا يدل على أنها طريقة تلجأ إليها الكاتبة للخروج بها من التقليدية التى يقع فيها عدد كبير من كتاب الأطفال.

الحوارية:

ومن المعروف أن الحوار سمة أساسية من سمات الكتابة المسرحية، وهو ما فعلته الكاتبة فى جل قصص المجموعة، فلا تكاد تخلو قصة من هذه الحوارية، فيأتى أحيانا الحوار بين أناس وبعضهم البعض، وفى قصص أخرى بين أناس والجمادات، وهذا ما أشرنا إليه سلفا فى ما سمى بأنسنة الأشياء، وميزة الحوار أنه يعمق الفكرة ويصل إلى عقل المتلقى بسرعة وفى

ايجاز، فعلى سبيل المثال، هناك حوار دار بين حسام والقلم فى قصة "أنا وقلمى":

"حسام: عندى مشكلة وفى استطاعتك أن تساعدنى فعلا.

القلم: أعرفها وأعيشها معك.

حسام: إذن ساعدنى.

القلم: أولا ليس لك حق فى الحزن، فأصدقاؤك الذين يتقدمون عليك فى افجابات ليست كل إجاباتهم صحيحة أو دقيقة... إلخ"

تحريك الخيال:

أنا من أشد المؤمنين بأن الكتابة للأطفال التى لا تحرك الخيال عقل الطفل، فهى كتابة قليلة القيمة، وقد نجحت الكاتبة فى تحريك مخيلة الطفل من خلال قصص المجموعة، فجعلت النقطة التى فوق حرف الضاد تسيل على يد الطفل ساخنة على لتبهه لوجود هذا الكتاب، كما فى قصة "محبة القراءة"، وجعلت الحروف تتطاير من فوق الكلمات، كما فى قصة "صداقة الحرف"، وجعلت الأقلام تتساقط من فوق المنضدة، ما عدا القلم الرصاص الذى ظل يدافع عن كيانه ويحاول العودة ويصارع، كما فى قصة "أنا وقلمى"، وجعلت حازم يجمع خيوط الشمس بين أصابعه، ويبتعد بها حتى ينعم بالدفء وحده، كما فى قصة "خيوط الشمس" وهى من أجمل قصص المجموعة وأعلاها فنية، وجعلت الزهرة تتحول إلى شجرة ذات ثمار وأغصان، ومرة أخرى إلى كائن له قدمان، ومرة

إلى لفائف دخان، كما فى قصة "عمو سعيد.. الأصابع المتشابكة"، وجعلت قطع الشطرنج تتحول إلى جنود كل واحد يعرف دوره فى الدفاع عن رقعة الشطرنج، المعادل الموضوعى للوطن، كم فى قصة "لوحة الشطرنج".. وهكذا خرجت بهذا التوظيف من الواقعية إلى الخيال.

القيم الأخلاقية والجمالية:

احتشدت قصص المجموعة بالقيم الأخلاقية والجمالية، والتى وظفتها الكاتبة بفنية عالية فجاءت فى معظمها غير مباشرة، مما أضفى عليها جمالا وجاذبية، ففى قصة "باقة ورد" هذه القصة التى حملت عنوان المجموعة، انطوت على فكرة مساعدة الغير وخاصة الجيران، بأن ساعد أحمد وسمر، جارتهم المرأة العجوز حينما مرضت وهى وحيدة ليس لديها عائل، واعتنوا بالحديقة وورودها وعصافيرها حتى شفيت، فى حين رفض ماجد أن يشترك معهما فى مساعدتها متحججا باضاعة الوقت، فحدث أن لعب ماجد كرة القدم وكسرت قدمه وظن أن أصدقائه لن يزوروه وتذكر المرأة العجوز التى لم يساعدها، وفوجئ بأن أحمد وسمر يزورنه فى المستشفى يحملان باقة ورد جهزتها له المرأة العجوز من بستانها.. فابتسم ماجد وقال: كنت فى حاجة إلى لهذه الباقة لأتعلم.

هنا أوصلت الكاتبة فكرتها بفنية عالية وبطريقة غير مباشرة أنه يجب ألا نعامل الناس بعملها، ولا نتقاعس فى تقديم الخير حتى لمن لمن قصر معنا.

كما رسخت لقيم أخرى مثل محبة القراءة والاطلاع، وضرورة البحث عن الكتب المؤسسة للثقافة، وأن الغة العربية هى لغة الضاد، لأنها اللغة الوحيدة التى يوجد فيها حرف الضاد، كما أنها أظهرت قيمة القرآن الكريم باعتباره كتاب لا غنى عنه لأى انسان خاصة فى بداية حياته أن ينشأ على قراءته وحفظه.

كما بثت بعض العبارات الجميلة التى وقفت أمامها حين قالت وهى تعرف قيمة القراءة بطريقة فنية قالت: "كثرة القراءة أو القراءة اليومية تجدد العقل وكأنك تلبس كل يوم ثوبا جديدا"، وعبارة "أنت لا تستطيع أن تقطع خيوط الشمس بل استطعت أن تقطع خيوط الود" وعبارة: "وأن الأنلنية هى التى حجبت ضوء الشمس".

كما رسخت من خلال القصص لقيم أخرى ايجابية مثل: الصداقة، وقيمة الوقت، وقيمة العمل، والتسامح، الدفاع عن الوطن، والحث على العمل الجماعى.. إلخ.

كما نبهت أيضا إلى البعد عن القيم السلبية مثل الأنانية، والكراهية، والبعد عن العنف،.. وغيرها.

بقى أن نشير إلى بعض السلبيات القليلة فى المجموعة والتى لا تقلل من قيمتها بحال من الأحوال، مثل: كثرة الوصف فى بعض القصص، ورود بعض الألفاظ والمفردات الصعبة التى كانت تحتاج إلى تصويب مثل: بيت القصيد، أبجديات الثقافة، وغيرها.

الأصدقاء الأوفياء.. وحيلة "تالا"

التخطيط الجيد لأحداث القصة بكل تفاصيلها قبل البدء فى كتابتها أحد الأساليب المهمة لنجاح القصة وتميزها؛ وهذا الأسلوب يلجأ إليه عدد كبير من الكتاب، بينما يفضل البعض الآخر كتابة قصصهم مباشرة دونما تخطيط مسبق لها حينما يقبضون جيدا على الفكرة، ويتركون أحداثها تتداعى لحظة الكتابة.

وقصة "الأصدقاء الأوفياء" للكاتب ايهاب القسطاوى، المنشورة ضمن مطبوعات مجلة "خطوة" التى تصدر عن المجلس العربى للطفولة والتنمية، كمطوية داخل العدد الصادر فى ديسمبر 2019، تنتمى القصة للنوع الأول حيث خطط لها جيدا، قبل البدء فى كتابها، فجاءت الفكرة واضحة جلية دونما لبث، لتناسب أطفال مرحلة "الطفولة المبكرة".

ف"سيليا" المتفوقة دراسيا، والتى تحصل على المرتبة الأولى دائما فى الامتحانات، والمحبوبة من جميع زملائها ومعلميها فى المدرسة، أثارت غيرة "تالا" زميلتها فى الفصل، فأرادت أن تكيد لها حتى لا تحصل فى امتحان الرياضيات على الدراجات النهائية.

هنا ظهر نوع من التناقض بين "سيليا" المتفوقة، وزميلتها "تالا" فى الفصل، فإن هذا التناقض بين شخصيات القصة الأساسية مبعثه الاختلاف فى تكوين الشخصية، فأخبرتنا القصة أن سلوك "تالا" العدوانى تجاه زميلتها "سيليا" أتى من الغيرة.

فحينما أجابت "سيليا" على المسألة الرياضية التى كلفوا بها من قبل معلمهم، ووضعت كراستها داخل الحقيبة، وخرجت من الفصل مع زملائها إلى حوش المدرسة، تسللت "تالا" إلى حقيبة "سيليا" وفتحتها وأخرجت كراسة الرياضيات ومحت الاجابات الصحيحة، وكتبت مكانها اجابات خاطئة.

هنا تصاعد الحدث ليصل إلى الذروة، بهذا الفعل العدوانى الذى مبعثه الغيرة من زميلتها كما أخبرتنا القصة، هذا التصاعد الدرامى لابد له من لحظة اضاءة أو حل فى نهاية القصة.

فى تلك اللحظة كانت تمر مصادفة زميلتهم "تالين" أمام نافذة الفصل فشاهدت ما حدث من "تالا"، وقررت أن تحكى ما شاهدته للمعلم فى الصباح.

لعبت هنا المصادفة دورا حيويا وفاعلا فى كشف الحقيقة، وتنامى الحدث باتجاه الحل.

ومن ثم تحدث مفاجأة تحول مسار القصة، حينما بكت كراسة الرياضيات داخل الحقيبة بكاء شديدا، فأسرع إليها القلم الرصاص والممحاة، والآلة الحاسبة، وهنا تتدخل تلك الأدوات فى حل مشكلة صديقتهم "سيليا"، وتصحيح الفعل العدوانى الذى حدث من "تالا"، فقامت الممحاة بمسح ما كتبته "تالا" خطأ عمدا فى كراسة "سيليا"،

وقالت الآلة الحاسبة بحل المسألة، وراح القلم الرصاص يدون الحل الصحيح فى الكراسة.

أراد الكاتب بذكاء أن يوظف أدوات الهندسة لتشترك فى الحدث، وهذا يدل على تفهم الكاتب لفنيات الكتابة لأطفال هذه المرحلة المبكرة، لأن الطفل فى هذه المرحلة يرتبط بشكل كبير بأشيائه وأدواته، فيما يسمى بأنسنة الأشياء فقد أضفى عليها صفات بشرية فبكت الكراسة، وراحت الممحاة تمسح، والآلة الحاسبة تحل المسألة، والقلم الرصاص يسجل الحل فى الكراسة.

وفى صباح اليوم التالى قصت "تالين" ما شاهدت على المعلم، الذى قال لها: "سوف ألقنها درسا لن تنساه أبدا" هنا بدأت تتكشف الحقيقة لنقترب من لحظة الاضاءة، قال المعلم: من منكم قام بحل العملية الحسابية؟، رفعت "سيليا" وعدد من التلاميذ أصابعهم، وقالوا: نحن يا أستاذ، فقال المعلم: احضرى كراستك يا سيليا، وعندما اطلع على الكراسة، وجد الاجابة صحيحة، فنادى على "تالا" وقال لها: "لقد شاهدتك زميلتك تقومين بفتح حقيبة "سيليا" أثناء الفسحة، وتمحين إجابتها الصحيحة، وتكتبين بدلا منها إجابة خطأ، هذا سلوك سيئ يستوجب العقاب.

كان رد "تالا" أن بكت واعتذرت عما بدر منها وسط استغراب "سيليا" الشديد، وتساءلت إذن من قام بإصلاح الإجابة بالكراسة بعدما محتها

"تالا"، هنا ضحك القلم الرصاص، والممحاة، والآلة الحاسبة، وقالوا: "نحن يا صديقتنا المجتهدة، فنحن أصدقاء أوفياء لك"، وهنا تعالت ضحكات الجميع.

لحظة الاضاءة، وحل الصراع حينما انتصر الخير على الشر فى النهاية وهذا هو جوهر الكتابة للأطفال، ف"سيليا" الجميلة والمجتهدة تمثل عنصر الخير، والذين ساعدوا على انتصاره وتحريك الأحداث باتجاهه هم "تالين" التى شاهدت ما فعلته "تالا" وأخبرت به المعلم، وأدوات الهندسة الأوفياء، بينما تمثل "تالا" عنصر الشر فى القصة.

حرص الكاتب أن يبث الكثير من القيم الايجابية والأخلاقية، مثل: الأمانة، ووفاء الأصدقاء، وشهادة الحق، والانتصار للخير.. فى مقابل بعض القيم السلبية، مثل: الحقد، والكره، والغيرة.

كما جاءت اللغة بسيطة وسهلة ومناسبة لأطفال هذه المرحلة، وجاء تسلسل الأحداث منطقيا من البداية إلى الوسط حتى وصولنا للذروة ثم الحل فى النهاية.

ما أخذته فقط على هذه القصة الجيدة أن أسماء ابطالها ليست أسماء مصرية، رغم أن أحداث القصة تدور فى أجواء مصرية.. تحية التقدير للمبدع ايهاب القسطاوى على هذه القصة الرائعة.

قصة (لومة وأحلام الزعامة) لعبده الزراع، دار المعارف، 2020م:

ذات يوم تمرد قلم الرصاص على

زملائه أدوات الهندسة،

ووقف في وسط المقلمة قائلا: اسمعوا يا أدوات، من الآن .. لا تنادوني باسمي.

دهشت الأدوات من قول قلم الرصاص، وقاطعته قائلة: وبم نناديك إذن؟

- نادوني بالزعيم.

قالت المبراة مندهشة: زعيم .. لماذا تكون أنت الزعيم يا لومة.

ولا أكون؟!

- لأني يا مبراة أهم واحد فيكم.

قالت الأستيكة: ومن أعطاك هذه الأهمية .. يا "لومة"؟!

- أعطيتها لنفسي .. لأنكم بدوني ليس لكم أى قيمة.
- كيف؟!
- لأنني الذي أكتب وأنت التي تمسحين ما أكتبه، وأساعد البرجل لكي يعمل دائرة، ولولا سنى هذا المسنون ما كان للمسطرة قيمة، ولا تستطيع أن تخط خطا واحد مستقيما.

قاطعه البرجل، قائلا: كف عن فرورك يا "لومة" .. ولا تنس أننا نعيش في مقلمة واحدة، وتجمعنا الدوائر معا، ولنا هدف واحد، ولا فضل لأداة على الأخرى .. وأنت مثلنا ليس لك أهمية بدوننا.

- لا .. لا .. تريد أن تتساوى بي يا "أبو البراجل" .. أنت بدوني مجرد قطعة حديد، لا تعمل إلا عندما أريد .. أنا قلم الرصاص.

ثم صار يرقص ويغني فرحا بنفسه.

قالت الأستيكة: ماذا أصابك يا "لومة"؟ كنت تجلس معنا في المقلمة في غاية الهدوء والوداعة، وتنفذ الأوامر مثلنا، وتذهب معنا إلى المدرسة مع صديقتنا "آلاء" التي تحملنا في حقيبتها، لكى نساعدها في عمل واجباتها، ماذا تغير فيك حتى تتصرف معنا هكذا؟!

- رأيت مصير كل أقلام الرصاص التي جاءت المقلمة قبلي، ظلت تكتب وتكتب، وتقصف وتقصف حتى صغرت، وأصبحت لا تصلح للاستخدام، وألقى بها في سلة المهملات، لذا من الآن لن أكتب حتى لا يقصف سنى الجميل هذا وأحتاج لمن هو أقل منى.
- قالت المبراة: ماذا تقصد بهذا الكلام يا قلم؟! لكل منا دور في الحياة، وعلينا أن نؤدي أدوارنا بأمانة حتى نهاية العمر.
- إلا أنا .. أنا القلم الرصاص .. أنا "لومة" .. أقصد الزعيم.
- وما هى علامات الزعامة إذن؟

- أنا الوحيد في المقلمة الذي لا تستطيعون الاستغناء عنه .. ألا يكفي هذا لأكون أنا الزعيم؟

قالت الأستيكة: لا .. لا .. يا "لومة" كلنا مهمُّون مثلك .. هل نسيت أنني أمسح أخطاءك، وتقوم المبراة ببرى سنك عندما تقصف.

- لكنى لن أحتاج إليكم بعد اليوم .. أنا قادر على العمل بدونكم .. أنا "لومة" .. أقصد قلم الرصاص.

قال البرجل: أتحداك يا قلم لو استطعت أن ترسم دائرة سليمة بدوني.

- بل أستطيع أن أرسمها.
- قالت الأدوات في صوت واحد: أرنا كيف ترسمها؟

حاول القلم أن يرسم دائرة سليمة .. لكنه لم يستطع .. وكلما حاول فشل في محاولته، ضحكت الأدوات ساخرة منه، لكنه استمر في رسم دوائر كثيرة كلها غير سليمة.

قالت الأدوات: لم تستطع .. يا "أبو الأقلام" .. يا فارس يا همام رسم دائرة واحدة سليمة وحدك.

قال القلم مكابرا: انظروا، سوف أرسم دائرة جميلة .. انظروا.

وضغط على سنه بغيظ وهو يحاول رسم دائرة سليمة .. فقصف سنه.

عندئذ بكى القلم بسبب ما حدث له، وقال: آه يا سنى .. آه .. أصبحت من غيرك ضعيفا .. لا أعرف أن أرقص .. أو حتى أميل .. أو أكتب الخط الجميل.

ضحكت الأدوات ساخرة منه ..

قالت المسطرة: الآن عرفت قدرك الحقيقي يا "لومة".

قال القلم: أعرف أنكم الآن فرحون فيَّ ..

ونظر إلى المبراة، قائلا:

تعالى يا مبراة يا جميلة .. ابرى "لومة" صديقك.

قالت المبراة: آسفة .. يا "لومة" لن أبريك حتى تعترف بأهميتى .. وتترك غرورك .. أنا المبراة يا "لومة" .. أنا من؟

- المبراة.

وغنت المبراة لكي تثبت للقلم أهميتها وقدرتها حتى على الغناء مثله:

"أنا المبراة .. أنا المبراة

صغيرة مدورة .. جميلة وسكرة

أبرى القلم مثل الصاروخ

من غيرى طبعا سوف يدوخ

تصبح أسنانه مكسرة".

أسنانه تبقى مكسرة يا "لومة" .. تبقى مكسرة .. مثل أسنانك هذه.

- أنا آسف لك يا مبراة .. عرفت أهميتك .. وسوف أعينك نائبة للزعيم.

قالت الأدوات في صوت واحد

- يااه يا قلم .. ألم تكف عن غرورك ..

ولم تستفد من الدرس بعد أن قصف سنك.

قالت المبراة:

- لن أبريك يا "لومة" حتى تعترف بكل أدوات الهندسة وأهميتها .. وتعترف أن مثلها مثلك بالضبط.

جلس القلم يفكر، ثم رفع رأسه.

نظر "لومة" لزملائه، قائلا:

- سامحوني يا أدوات .. الآن تعلمت الدرس .. وعرفت أننا جميعا أدوات هندسة .. لا فرق بين قلم وأستيكة ومسطرة .. ولا برجل ومبراة .. كلنا واحد في مقلمة واحدة .. ونكمل بعضنا بعضا .. سامحونى يا أصحابي .. سامحوني.

قالت الأدوات في صوت واحد: سامحناك .. يا "لومة" لأنك اعترفت بخطئك .. وهذه شجاعة منك يا قلم.

ونهضت المبراة تبرى القلم الرصاص، ونهض البرجل والأستيكة والمسطرة، الكل راح يعانق قلم الرصاص .. والقلم يعانق الأدوات .. وعاشوا جميعا داخل المقلمة، في سلام وسعادة وهناء.

قصة (سيف الوقت) لعبدالتواب يوسف:

تعودت إسراء على استعراض ما حدث لها خلال يومها، منذ رفعت رأسها في الصباح عن الوسادة، إلى لحظة وضعتها عليها ليلا، ولا تغمض لها عين قبل أن تحاسب نفسها على كل صغيرة وكبيرة حسابا عسيرا .. لقد ضاع منى يومى هذا، أطحت في المطبخ بكوب اللبن، فانسكب، وانكسر، وكانت قطتى ظريفة معى، وحاولت أن تساعدنى على التنظيف بأن راحت مشكورة تلعقه، وكانت ترفع لى بصرها أثناء ذلك، كأنما تذكرنى بالمثل الشهير: لا تيكِ على اللبن المسكوب .. تأخرت بسبب ذلك فى الوصول للمدرسة، وكان ذلك بداية ليوم مدرسى لم يكن لطيفا على الإطلاق .. عنفتنى معلمة الرياضيات لأنى نسيت كراستها بالبيت، وضاق بى معلم اللغة العربية لأنى لم أحسن القراءة والمطالعة بصوت عال، لتقرأ زميلاتى على منوالى، ولم أعد صالحة لهذه المهمة بعد أن وقعت فى أربعة أخطاء نحوية .. وتوالى اليوم سيئا سخيفا، ولم أقرأ الكتاب الذى استعرته من المكتبة وعلىَّ أن أعيده فى الغد .. و ..

ولم تكن كل الأيام على هذه الصورة، إذ كانت "إسراء" تحس بالكثير من الرضا، والارتياح، وهى تحدِّث نفسها ليلا عن أحداث يومها، الذي كان حافلا بالإنتاج والإنجاز .. قبل الذهاب إلى المدرسة، وأثناء وجودها فيها، وبعد العودة منها ..

لم يفتنى اليوم فرض واحد من الفروض الخمسة، كلها بحمد الله أديتها فى مواعيدها .. عاونت أمى فى تحضير طعام الإفطار فور استيقاظى من النوم، وكنت فى حالة معنوية طيبة ومرتفعة بعد أن ظهر تفوقى فى اختبارات نصف العام، فقمت بالمساعدة على إعداد طعام الغداء، إذ كانت أمى متعبة، فوضعتها فى الفراش، وجهزت العشاء للأسرة كلها ..

وقد تلقيت رسالة من عمتى تدعونى لكى أقضى معها أسبوعا من إجازة منتصف السنة، و ..

وأغمضت عينها وهى تشعر بالارتياح والفرح، ولم يفتها أن تدعو الله أن تصحو أمها مع الصباح، وهى فى أتم صحة وعافية وراحت فى نوم عميق.

هكذا كانت تمضى أيام إسراء: ليلة بعد ليلة، يحدث معها هذا الاستعراض لساعات يومها: هل استثمرتها واستفادت منها؟ أم بددتها وبعثرتها بلا طائل؟! .. هى تعرف عن يقين أن حصيلة ما تفعله فى دأب، سوف يكون وباستمرار عماد مستقبلها فى الأيام المقبلة.

بعد يوم شاق، شعرت فيه "إسراء" أنه قد ضاع منها بالكامل، ورأت أنها لم تؤد خلاله شيئا يستحق الذكر، ولم تقم أثناءه بعمل إيجابى، أغمضت عينيها فى أسف وحزن، وراحت فى النوم بعد أن راح يومها سدى، وبغير عائد .. وإذا بها تحلم بأنها فى متجر العم حامد، ساعاتى شارع المنيل، وقد ازدان بالمرايا المتألقة، وارتفعت فى جنباته ألوان عديدة من الساعات .. هناك ما علق على الجدران، وما هو لليد وقد وضع فى صناديق زجاجية،

شفافة لامعة، وهناك بجانبها ساعات للمكتب جميلة وأنيقة .. وعندما دققت إسراء فى هذه الساعات أفزعها شىء غريب، كانت كل مؤشرات هذه الساعات – والتى نسميها العقارب- قد تحولت إلى هيئة جديدة، وأبحت فى صورة سيوف تبرق، وزادها ميناء الساعة حركتها المعتادة، وإذا بها تؤدى ما تؤديه السيوف فى الحروب القديمة .. كان عقرب الثوانى – أو سيفها- يقطع رؤوس حشرات ضئية كالنمل، وعقرب الدقائق يطيح برءوس كائنات كالنحل، وعقرب الساعات يقضى على مخلوقات أكبر قليلا.

تطلعت إلى العم حامد، يجلس هادئا، واضعا نظارة صغيرة على واحدة من عينيه – كانت النظارة أشبه بالميكروسكوب – وهو يصلح الساعات فى براعة غير ملتفت إلى ما تصنعه السيوف العقارب، وحاولت أن تنبهه فلم يستجب، فصرخت فى العقارب ..

- ما هذا الذى تفعلينه؟ أنت تقتلين مخلوقات حية وكائنات مهمة، كيف تستبيحين هذا لنفسك؟ هل تقومين بمهمة "عشماوى"؟ ردت عليها العقارب فى صوت دوى فى أرجاء المكان:
- لا تعطلينا من فضلك، دعينا نؤدى عملنا ونقوم بمهمتنا .. إذا كان لديك أنت وقت تضيعينه، فليس عندنا نحن وقت حتى للرد عليك!

- كان الذى يحدث شيئا مثيرا ومذهلا .. لا يمكن تصديقه .. ووجدت إسراء نفسسها فى موقف حرج، غريب .. إنها غير قادرة على أن تصنع شيئا، والساعات تواصل ارتكاب ما تراه جرائم متصلة ومستمرة، ولا تستطيع أن توقفها، فوضعت يديها على عينيها حتى تحجب عنهما هذه المجازر الفظيعة، وراحت تبكى وتنتحب بصوت عال أيقظها من نومها خائفة فزعة، متوترة وغاضبة، وفركت عينيها لتحسن الرؤية، وعندما أفاقت تطلعت إلى ساعة غرفتها، وأصابتها دهشة شديدة، وصلت إلى حد الذهول، لأنها رأتها تفعل نفس الشىء .. فلم تغادر الفراش، وتقلبت على جانبها الآخر، ووضعت رأسها على الوسادة، وهى تهزها بقوة وعنف، لعلها تصحو مما هى فيه، وعادت إلى النوم .. وكانت تنتظرها خلاله مفاجأة أكثر غرابة .. ذلك أن الحلم تكرر معها، وعاد إليها مرة أخرى ..

وعندما استيقظت فى الصباح شعرت بصداع شديد ..

غادرت إسراء فراشها، وهى تمسك رأسها بين يديها، ومضت فى خطوات قصيرة إلى صالة البيت، حيث كانت أمها تجلس لتساعد إخوتها الصغار على ارتداء ثياب المدرسة، وعندما لمحتها الأم سألتها ..

- ماذا بك؟

- لا شيء .. مجرد صداع خفيف ..

وبعد أن انتهت الأم من مهامها الكثيرة، اتجهت إليها، وقالت:

- واضح أنك لم تنامى جيدا .. ماذا أقلقك؟
- حلم .. بل كابوس، والغريب أنه أيقظنى من نومى، وعندما نمت، تكرر ..

وبدأت إسراء تحكى لأمها ذلك الحلم – الذى اعتقدت أنه كابوس – وكانت تحكيه فى صوت خفيض، متقطع، وهى غير قادرة خلال ذلك على التقاط أنفاسها، وكانت مفاجأة قاسية لها أن أمها، بعد أن استمعت إلى تفاصيل الحلم، ضحكت ضحكة خفيفة، وأشارت إلى الساعة المعلقة على جدار الصالة، وقالت:

- ها أنت ترين أن العقارب ما زالت على حالها، ولم تتحول إلى سيوف .. ولعل الذى أطلق عليها هذا الاسم كان يقصد بنا خيرا، وأنه كان ينبهنا إلى أنها "تلدغ" الوقت، بحركتها السريعة الرتيبة .. وهو – أى الوقت – بدوره يطالبنا بأن نحسن التعامل معه، ونستثمره ..
- لكن ما الذى أضحكك فى هذا الكابوس؟
- الذى أضحكني، أنك من حبك للأمثال ترجمت فى نومك مثلا شهيرا، مما لا شك فيه أنك تعرفينه ..
- أى مثل هذا؟! .. ليس فى ذهني شيء من هذا القليل ..

- يدور فى داخل رأسك ذلك المثل الشهير: " الوقت كالسيف، إن لم تقطعه قطعك"!

فتحت إسراء فمها وعينيها فى دهشة، وذهول .. إنها بدون شك قد سمعته كثيرا من قبل، وتردد أمامه، واستوقفها، لكنها لم تعقب عليه، ولم تفكر فيه طويلا، إنما جعلته يمر عابرا، إذ لم تر فيه غير صورة فنية بلاغية، لا أكثر ولا أقل، ووجدته تشبيها غريبا، وربما يكون من باب التلاعب بالكلمات، يستهدف التحذير والإنذار من أمر "قطع" الوقت، إذ يجب الاستفادة منه واستثماره، وإلا فإن هذا الوقت الضائع يمكن أن يضيع معه صاحبه، ومن الممكن أن يكون هذا الوقت فارسا يمتطى حصانا، ممسكا بسيفه، يقطع من لا يحسن قطعه!

قطعت أمها عليها حبل أفكارها، وأضافت: هذه (رؤية).

أفطرت إسراء فى هدوء، وقد بدأ الصداع يخف، بل ويزول، واستعدت لمغادرة البيت، وعلى وجهها آثار التعب، وعندما وصلت إلى المدرسة لاحظت زميلاتها وزملاؤها ذلك، وسألوها:

- ماذا بك؟

- لا شيء، فقط لم أنم بشكل جيد.

وانهمكت فى يومها الدراسي، الذى كان يستولى عليها تماما، ويبتلعها بالكامل، فهى لا تحب أن تترك خلاله واردة أو شاردة إلا

وتحاول أن تلتقطها وتستوعبها بكل جهد، وفى تقديرها أنه لابد لها وأن تستثمر ثوانيها ودقائقها، وتحافظ على ما تتلقاه، وتحتفظ به فى دأب شديد، وذلك يجعلها لا تشعر بالملل على مدى ساعات اليوم الدراسى الطويل، ولا تضيق بالأسوار التى تحيط بها، فى حين يراها آخرون أشبه بسجن يتنفسون الصعداء حين يغادرونها .. أما هى، فإنها تقبل عليها فى فرحة،

وتغادرها وهى تشعر بالأسف لانتهاء اليوم بل وتشتاق إليها فى أيام الإجازات، خاصة عندما تطول ..

ويحدث أحيانا أثناء واحدة من الحصص أن يحاول تلميذ أو تلميذة إضاعة الوقت فتردد المعلمة ومن بعدها إسراء فى نفسها، ودون أن ترفع صوتها بها ..

- يا جماعة: الوقت من ذهب.

وقد أفلتت منها هذه العبارة ذات مرة بصوت ترامى إلى أذن معلمة اللغة العربية، فى حصة تعبير، فقالت لها المعلمة:

- ما رأيك فى هذه العبارة؟ هل تعبر حقيقة عن قيمة الوقت؟

قالت إسراء، وهى تدير العبارة فى رأسها:

- لا أظن ذلك ..
- لماذا؟

سكتت لحظة، بينما قال زميل:

- وقت الإنسان العاطل عن العمل من تراب ..

وأضافت زميلة: ووقت الفراغ يكلفنا ذهبا كى نقضيه!

وكانت إسراء قد جمعت أفكارها، وصارت قادرة على أن تقول رأيها .

- الوقت ليس من ذهب، بل هو أغلى منه بكثير ..

الوقت أغلى شيء فى الدنيا، لأن وقتنا فيها هو "الحياة" .. من يرضى أن يبيع حياته مقابل الذهب؟

وصفقت لها المعلمة، دون أن يسمع لتصفيقها صوت .. كانت هذه عادة المعلمة، حين تريد أن تشجع تلميذاتها وتلاميذها، وكانوا هم بدورهم يحبون منها هذا، وكل منهم يتمنى لو لقى هذه التحية الرقيقة الهامة .. إنه أسلوب مهذب، مبتكر، لمعلمة جادة ..

عندما وضعت إسراء رأسها على وسادتها فى تلك الليلة كان أكثر ما يميز يومها ذلك التصفيق الصامت من معلمتها .. لكنها لم تكن قادرة على أن تنسى وتغفل عن حلم الليلة الماضية، وعن عقارب الساعات، وقد تحولت إلى سيوف لامعة ماضية، وكانت قد استراحت لتفسير أمها لهذا الحلم الذى رأت فيه كابوسا، بينما قالت أمها:

- هذه رؤية.

صوت أمها يرن فى أذنيها .. حتى إنه غطى على الموسيقى الخفيفة التى حاولت أن تستمع إليها من أجل أن تهدأ أعصابها .. لقد

استعرضت يومها وهى شديدة اليقظة .. غير قادرة على أن تستسلم بالكامل للنوم .. كانت تغفو وتصحو، وفى واحدة من لحظات يقظتها داعبت مفتاح الإذاعة، كان واضحا من البرامج أنها قد تأخرت عن ساعة نومها المعتادة، وتساءلت ..

- أيمكن أن يعاودنى هذا الحلم؟

طردت من ذهنها ما يتعلق به، قائلة لنفسها ..

- أنا أعرف قيمة الوقت .. أنا من البلد الذى علم واحد من أبنائه كل الدنيا، شيئا اسمه "الفيمتوثانية" .. أنا من بلد أحمد زويل الذى اكتشف أن هناك شيئا هو واحد على مليون، من المليار من الثانية.

وضحكت، وهى تقول:

- هل ذكرت الرقم الصحيح؟ .. لا أدرى ..

داعبت مفتاح الراديو مرة أخرى وهى تعاتب نفسها

- سوف استيقظ متأخرة، وهذا يعنى أننى سأنقص من وقت الغد ..

وفى هذه اللحظة ترامى إلى أذنيها صوت الشاعر فاروق شوشة، وهو يقدم برنامجه الجميل: لغتنا الجميلة، قالت:

- لماذا يقدمونه فى ساعة متأخرة، ويعيدونه فى ساعة لا أستطيع أن أتابعه خلالها؟!

وارتفع صوت الشاعر، يقول:

- وأمير الشعراء أحمد شوقي هو الذى قال ..

دقات قلب المرء قائلة له

إن الحياة دقائق وثوان

رددت إسراء البيت ..

وأغلقت المذياع ..

وراحت فى نوم عميق، لم يتخلله حلمها السابق الذى تحولت فيه عقارب الساعات إلى سيوف.

الحواشي

1. أدب الأطفال(المفاهيم - الأشكال - التطبيق)، كمال الدين حسين، دار العالم العربي- القاهرة، الطبعة الأولى 1430هـ -2009م، ص157.

2 . في أدب الأطفال، على الحديدي، ص176.

3. رؤى في فن القصة وتطورها، عصام طلعت الرفاعي، www.almoltaqa.com.

[4] . ثقافة الأطفال، هادى نعمان الهيتى، ص171-172.

5. المعجم المفصل في اللغة والأدب، ص979.

6. أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة الثانية 1415هـ - 1994م، ص74-75.

7. أدب الأطفال، أحمد حسن حنورة، مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى. 1410هـ - 1989م، ص107.

[8]. أدب الأطفال في ضوء الإسلام، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة1412هـ - 1991م، ص51- 52 .

[9]. انظر: أدب الأطفال، كمال الدين حسين، ص157.

10. قصص العرب موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادر وطرائف العرب في العصر الجاهلي والإسلامي، إعداد: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الجزء الأول، الطبعة الأولى1423هـ - 2002م، ص3.

11 .المرجع فى أدب الأطفال، محمود حسن إسماعيل ، دار الفكر العربى، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1432هـ - 2011م، ص131

12.المرجع السابق، ص77.

13 .القصة في أدب الأطفال، أحمد نجيب، جمعية المكتبات المدرسية، دراسات فى أدب الأطفال (3)، ص101- 102.

14 .في أدب الأطفال، على الحديدى، ص183.

15.انظر: القصة فى أدب الأطفال، أحمد نجيب، ص127.

16 .في أدب الأطفال، على الحديدى، ص185

17 . أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، ص82.

18. تدريس فنون اللغة العربية، على أحمد مدكور، دار الشواف – الرياض،1991، ص244.

19. أدب الأطفال، هادى نعمان الهيتى، ص144.

20 .أدب الأطفال علم وفن، أحمد نجيب، ص79.

21. أدب الأطفال، أحمد حسن حنورة، ص112.

22 في أدب الأطفال، على الحديدى، ص180 – 181.

23 .ثقافة الطفل والتذوق الأدبى، أم هاشم محمد العمدة، ص113،112.

وانظر أيضا: ثقافة الطفل، أمانى عبدالفتاح على، هالة فاروق أحمد الخريى، دار الفضيلة – القاهرة، الطبعة الأولى 1427هـ - 2006م، ص269،268. وأدب الطفل العربى دراسات وبحوث، حسن شحاته، ص29،28.

24 .المرجع السابق، ص118.

25. طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، جاسم محمد عبدالسلامى، دار أسامة – الأردن.عمان، الطبعة الأولى 2011م، ص143.

26. حقوق الأطفال والشبيبة، لبنى الجادرى، الحوار المتمدن – العدد:1934/6/2 – 2007،المحور:.www.ahewar.org

27 .القصة في أدب الأطفال، أحمد نجيب، ص177 – 178.

28 .في أدب الأطفال، ص220.

29 .طرائق معاصرة لتدريس أدب الأطفال، جاسم محمد عبدالسلامى، ص146- 147.

30 .في أدب الأطفال، على الحديدى، ص350:352.

31 .حكايات الحيوان فى شعر شوقى، أحمد محمد عوين، دار الوفاء – الإسكندرية، الطبعة الأولى 2007م، ص7.

32 .الشوقيات أحمد شوقي، تحقيق وتبويب، وضبط وتعليق:على عبد المنعم عبد الحميد، الشركة المصرية العالمية – لونجمان- مصر، الطبعة الأولى 2000م، ص 907.

33 .أدب الأطفال بين التراث والمعلوماتية، محمود الضبع، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، الطبعة الأولى ربيع أول 1430 هـ - مارس2009م، ص213.

34 .واحة الحيوان، أحمد سويلم، رسوم غادة بهنسى، قطر الندى، الهيئة العامة لقصور الثقافة،2005م، ص4 :9.

[35]. انظر: التربية فى الإسلام، أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف 1979.

[36] . ابن منظور: لسان العرب – مادة ثقف – دار المعارف.

[37] . د. مراد وهبة وآخرون: المعجم الفلسفي – دار الثقافة الجديدة 1971 ص67.

[38] . د. محمد الجوهري – دار المعارف 1973 ص 143

[39] . د. محمد الجوهري: علم الفولكلور ج1 – دار المعارف ص53

[40] . فوزي العنتيل: بين الفولكلور والثقافة الشعبية – هيئة الكتاب 1978 ص30.

[41] . اعتمدنا فى هذا المصدر على مراجع عديدة منها:

- ليتمان: ترجمة إبراهيم زكى خورشيد وآخرين: ألف ليلة وليلة- دار الكتاب اللبناني 1982

- سهير القلماوي: ألف ليلة وليلة دار المعارف 1976.

- د. محسن الموسوى: ألف ليلة وليلة فى الأدب الإنجليزي – دار الرشيد بغداد 1982

- أحمد سويلم: استلهامات ألف ليلة وليلة فى الشرق والغرب – هيئة قصور الثقافة 2016

- رشدى صالح: ألف ليلة وليلة – دار الشعب 1980

[42] . أحمد سويلم: التربية الثقافية للطفل العربي – دار دلتا 2016 ص54.

[43] . اعتمدنا فى هذا المصدر على مراجع كثيرة منها:

- د. سعد ظلام: الحكاية على ألسنة الحيوان عند شوقي – دار التراث العربي 1982

- ابن المقفع: كليلة ودمنة: دار الشروق 1973

- محمد رجب البيومي: كليلة ودمنة تأليف وترجمة – هيئة قصور الثقافة 2008

- أحمد سويلم: التربية الثقافية للطفل العربي – (مرجع سابق)

[44] . اعتمدنا فى هذا المصدر على:

- أ.د. وينتل: ترجمة مختار الوكيل: إيسوب.. سلسلة ألف كتاب –

لجنة البيان العربي 1956.

- مصطفى السقا – وسعيد جودة السحار: الحكيم إيسوب- مكتبة مصر 1947.

[45] . عبده حسن الزيات: حكايات من لقمان – لجنة التأليف والترجمة 1948

[46] . اعتمدنا فى هذا المصدر على مراجع كثيرة أهمها:

- د. عبد الحميد يونس: التراث الشعبي – دار المعارف 1977

- د. نبيلة إبراهيم: البطولة فى القصص الشعبي – دار المعارف 1977

- فاروق خورشيد: فن كتابة السيرة الشعبية – دار الثقافة العربية 1961

- أحمد سويلم:التربية الثقافية للطفل العربي (مرجع سابق)

[47] . يضيق المقام عن ذكر تلك الكتب التى تجمع تلك القصص ومن أهمها: العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي – والمستظرف للأبشيهي..

وحديثا: قصص العرب لمحمد أحمد جاد المولي وآخرين..

وكذلك كتب الأمثال العربية

[48] . اعتمدنا فى هذا المصدر على مراجع كثيرة أهمها:

- أحمد كمال زكى: الأساطير – هيئة الكتاب 1985

- شوقي عبد الحكم: أساطير وفولكلور العالم العربي – روز اليوسف 1974

- أحمد شمس الحجاجي: الأسطورة فى الأدب العربي – الهلال 1982

[49] . فاروق خورشيد: الرواية العربية – هيئة الكتاب 1985

[50] . محمود سليم الحوت: فى طريق الميثولوجيا عند العرب – دار النهار بيروت 1979.